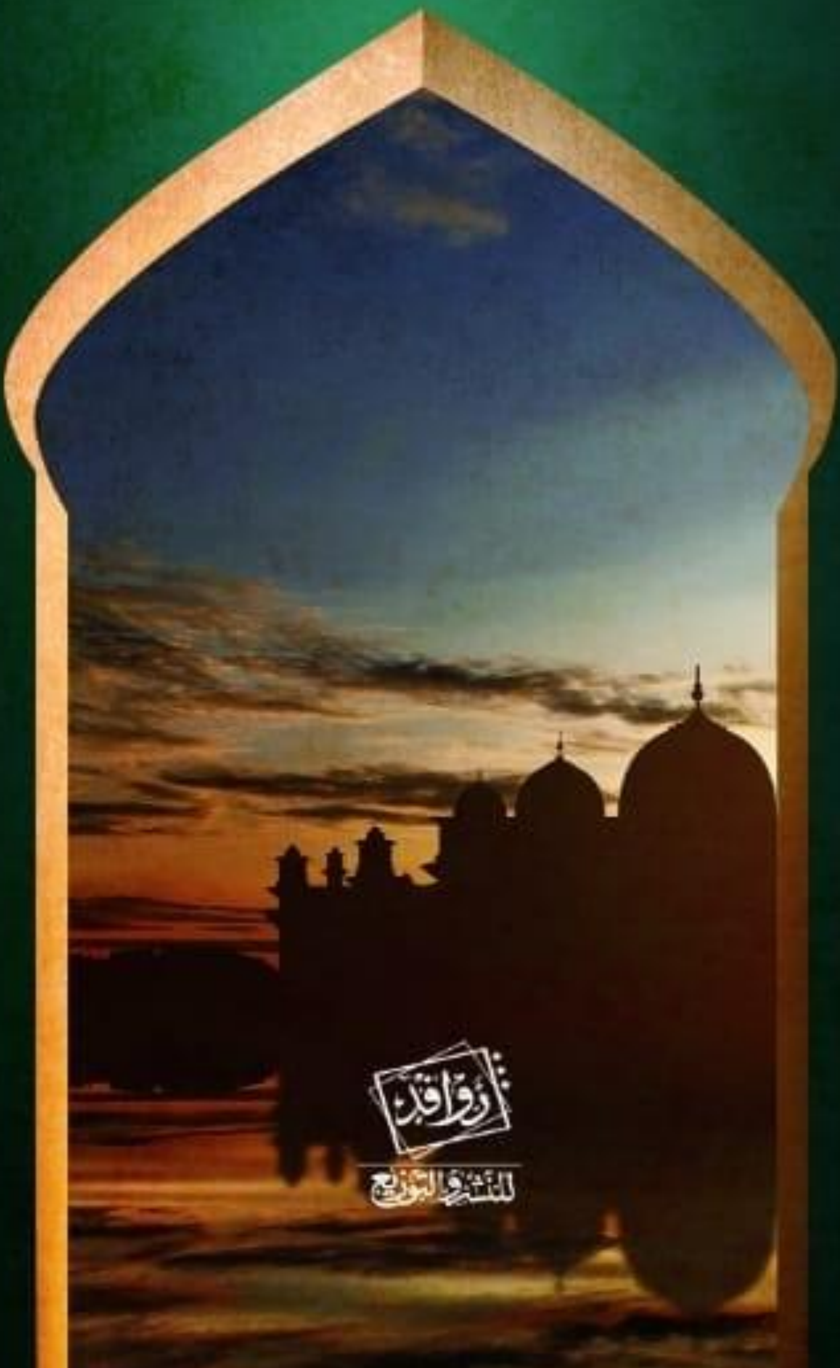
د. التجاني بولعوالي

الإسلامُ بَيْنَ جدليّةِ الذّاتِ والآخرِ

مُراجعاتٌ فكريةٌ للإسلام في الغرب



الإسلامُ بَيْنَ جَدلِيّةِ الذّاتِ والآخَرِ

د. التجاني بولعوالي

الإسلامُ
بَيْنَ جَدلِيّةِ الذّاتِ والآخَرِ
مُراجعاتٌ فكريةٌ للإسلام في الغرب

الإسلامُ بَيْنَ جَدلِيَّةِ الذَّاتِ والآخَرِ

د. التجاني بولعوالي

القاهرة – طبعة أولى 2022

رقم الإيداع: 2022 /11645

الترقيم الدولي: 9 - 696 - 751 - 977 - 978

روافد للنشر والتوزيع

القاهرة ج. م. ع

+2 01222235071

rwafead@gmail.com

www.rwafead.com

تصميم الغلاف: رائد مجدي

مقدمة

أجرت معي جريدة الوقت البحرينية عام 2007 حوارا حول مختلف قضايا الإسلام في الغرب، كالاندماج والتعليم والتجديد وغيرها. وقد ميّزتُ حينها بين وجود غربين أحدهما إيديولوجي يحيل على مفاهيم الاستعمار والهيمنة والاستعلاء والقوة، والآخر غرب حضاري يقدّم للإنسان شتى القيم الإيجابية والإنجازات المفيدة، وهو أيضا ذلك الغرب الذي هيّأ ملاذاً دافئاً لملايين المهاجرين واللاجئين المسلمين والأجانب. واكتشفت لاحقا أن هناك أيضا من الباحثين من يميز بين هذين النمطين المتعارضين من الغرب كمحمد أركون وزكي الميلاد.

وأعتقد أن هذا التقسيم من شأنه أن يشكل مخرجا منهجيا في تعاملنا مع الغرب، الذي لا ينبغي أن نضعه كله في بوتقة واحدة، وننظر إليه بعين الريبة والسلبية والخوف، فالغرب متعدد في كينونته وسياقه وتاريخه وتعامله مع الآخر. ومن الضروري أن ندرك قيمة هذه التعددية الإيجابية التي تمكننا من التمتع بالحقوق والمكاسب والمنجزات، التي يوفرها لنا ذلك الغرب الإنساني والحضاري. ويقتضي هذا في المقابل أن لا نظل في موقف "سالب" كما كان الأمر طوال عقود الهجرة الأولى، بقدر ما ننخرط في الواقع عبر الإسهام والمشاركة

والمواطنة والحوار. ولعل هذا ما تشدد عليه مختلف الدراسات الراهنة، التي تنظر إلى العنصر الإسلامي بكونه جزءا لا يتجزأ من المجتمعات الأوروبية والغربية المعاصرة، رغم تصاعد المد العنصري اليميني الرافض لما هو إسلامي في مقابل خطاب التطرف الذي يهدد استقرار تلك المجتمعات.

في إطار هذا التعاطي العقلاني مع العلاقة بين الإسلام والغرب تندرج مراجعات هذا الكتاب الجديد، الذي لا يمكن استيعابه مفصولا عن أعمالي السابقة (المسلمون في الغرب، صورة الإسلام، الإسلاموفوبيا، المسلمون وفوبيا العولمة، الخوف المتبادل بين الإسلام والغرب)، التي اشتغلت فيها بمختلف قضايا الإسلام والمسلمين في الغرب. فهي تشكل كلها مداخل نظرية وتمهيدية لمشروع أشمل وأعمق هو الآن قيد الاشتغال والبحث والتحرير. ويتضمن العمل الجديد ست مراجعات فكرية، تتنوع من حيث زمن كتابتها لأنها صيغت أثناء فترات مختلفة خلال العقدين الأخيرين، ومن حيث القضايا التي تناولتها كالعلمانية والتربية والتطرف والربيع العربي وغيرها، ومن حيث المؤلفون الذين تمت مراجعة رؤاهم، إذ منهم المسلم وغير المسلم، الغربي والعربي، الكهل والشاب.

تعالج المراجعة الأولى كتاب اللاهوتي الأمريكي بيلي كرون **هل الإسلام دين حرب أم سلام؟**، الذي يظل وفيا للجدل اللاهوتي التقليدي الذي كان يجري بين المسلمين وأهل الكتاب

من النصارى واليهود، لاسيما في العصرين الأموي والعباسي ولاحقا في الأندلس. فهو يستحضر فيه الأحكام السلبية القديمة حول الإسلام والقرآن والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويعيد إنتاجها بشكل مسفّ، بل ويحشوها بشتيت من المغالطات التي لا تمت بصلة إلى الموضوعية والواقعية.

تناقش المراجعة الثانية كتاب **دليل حول الإسلام** للمفكر الكاثوليكي الأمريكي جيمس بفيرلي، الذي يحاول من خلاله تقريب الإنسان الغربي من مختلف قضايا الإسلام العقدية والتعبدية والتاريخية. رغم أن هذا الكتاب يوحي بأنه دليل تعريفي بالإسلام، غير أنه في الحقيقة يشكل مقاربة فكرية وفق فيها الباحث بين التوصيف الموضوعي لجملة من الحقائق الإسلامية الجوهرية وبين التفسير الشخصي لاسيما للقضايا ذات الطابع الإشكالي في السياق المعاصر، كالمرأة والإرهاب والقضية الفلسطينية.

تتعرض المراجعة الثالثة لكتاب **الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل** الذي هو بمثابة نقاش بين باحثين عربيين (تركي علي الربيعو وزكي الميلاد) حول العلاقة بين الإسلام والغرب. خصّص الربيعو بحثه لظاهرة الخوف من الإسلام من خلال قراءة أربعة أعمال فكرية مهمة لجعيط وأركون والجابري وإدوارد سعيد، في حين بحث الميلاد في إمكانية تأسيس منظور معرفي لعلاقات مستقبلية إيجابية بين الإسلام والغرب.

تتناول المراجعة الرابعة كتاب **أبي، ماذا يعني أن تكون مسلما؟** للروائي المغربي الطاهر بن جلون، وهو مؤلف يوضح للأجيال الناشئة حقيقة الدين الإسلامي ومختلف جوانب الحضارة العربية الإسلامية قصد تقديم صورة ما حول الإسلام بصفة عامة. لذلك سوف نرصد من خلال ما يأتي الكيفية التي يقدم بها الكاتب هذه الصورة، حيث نثبت بعض الجوانب الإيجابية لهذا العمل، لكن دون التغاضي عن المغالطات الكثيرة التي انزلق الكاتب في مطباتها.

تنفتح المراجعة الخامسة على موضوع مهم ينطر إليه على أنه من قضايا الساعة، وهو الربيع العربي الذي تم تناوله من خلال كتاب الصحافي الهولندي يان أيكلبوم: **الربيع العربي، تقرير لشاهد عيان**. والغرض من انتقاء هذا الموضوع هو رصد جانب من النظرة الغربية الراهنة إلى ما يجري في المنطقة العربية وشمال إفريقيا منذ ديسمبر 2010.

تقارب المراجعة السادسة كتاب الناشطة والفاعلة المدنية الباكيستانية ملالا يوسفزي: **أنا ملالا الفتاة التي ناضلت من أجل التعليم وأطلق عليها طالبان النار**، التي تركز في تناولها على البديل التربوي وتعليم المرأة كمخرج لآفة التخلف التي يتخبط فيها العالم الإسلامي. وقد أدركت أهمية هذا الجانب منذ أن كانت طفلة، فاستمرت في دعوتها رغم التهديدات الإرهابية التي كادت تودي بحياتها. ومع ذلك، فهي ماضية في مساعيها الإصلاحية التي أصبحت تتخذ اليوم بعدا كونيا.

تشتغل المراجعة السابعة والأخيرة بكتاب **هل هذا هو الإسلام الآن؟** للإمام الحداثي خالد بنحدو، الذي خلق نوعا من الجدل على الصعيد الفلامانكي. وهو يطرح في مقاربته الإسلام العقلاني بديلا لمختلف أنماط الإسلام (السلفي، التنويري، الأوروبي، الإخواني، الراديكالي). وقد تمت مراجعة أهم جوانب هذه المقاربة مع مناقشة بعض الرؤى الخلافية والإشكالية.

الفصل الأول:
هل الإسلام دين حرب أم سلام؟

تخويف مطلق مما هو إسلامي

هناك من الكُتّاب في الغرب من لا يزال وفيا للجدل اللاهوتي التقليدي الذي كان يجري بين المسلمين وأهل الكتاب من النصارى واليهود، لاسيما في العصرين الأموي والعباسي ولاحقا في الأندلس. ولعل هذا هو ديدن القسيس واللاهوتي الأمريكي بيلي كرون في كتابه الموسوم بـ: **هل الإسلام دين حرب أم سلام؟**[1] الذي يستحضر فيه الأحكام السلبية القديمة حول الإسلام والقرآن والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويعيد إنتاجها بشكل غير موضوعي يتعارض والمكاسب التي حققها الحوار الإسلامي المسيحي من جهة، ونظريات التعددية والمواطنة الفاعلة من جهة أخرى. وأكثر من ذلك، فهو يحشو كتابه بشتيت من المغالطات التي قد ينكشف عوارها لكل من يُلمّ بأساسيات الدين الإسلامي، غير أنها في المقابل قد تشكل خطورة على من لا معرفة أولية له بالإسلام، دون إغفال كون أحزاب اليمين المتطرف والحركات المناوئة لما هو إسلامي تتغذى على مثل هذه الأفكار الهدّامة.

[1] Crone, B. (2019). *Islam Religion of War or Peace?* USA: Life Ministries

ويظل الكتاب منذ ألفه إلى يائه مسكونا بالتخويف من انتشار الإسلام ليس في الولايات المتحدة الأمريكية فقط، بل في أوروبا والعالم قاطبة. يستهل الكاتب مؤلفه بمجموعة من المفاهيم الأساسية التي تتعلق بالإسلام، كالله والرسول والخليفة والقرآن والجنة والنار والشيطان والجهاد والمرأة، يقوم بشرحها لقاعدته الشعبية بشكل تأويلي ذاتي يخلو من الموضوعية التي تقتضيها مثل هذه المصطلحات. ثم إنه يحاول تقويض أي تقارب مفهومي بين ما هو كتابي وقرآني؛ بين اليهودية والنصرانية من ناحية والإسلام من ناحية أخرى، رغم أنها كلها تنضوي تحت الأديان الإبراهيمية التوحيدية. لذلك نراه ينتقد بشدة مفهوم Chrislam الذي طرحه اللاهوتي ريك وارن، وهو يعني أن المسيحية والإسلام يمكن لهما أن يسيران معا بطريقة ما، لأن هناك الكثير من القواسم المشتركة بينهما. وينعت كرون هذه الرؤية بالحمق والسخافة، لأن النصرانية والإسلام يتعارضان بشكل مطلق. وسوف يتضح فيما يأتي كيف أنه يقف على طرف نقيض من ذلك التيار الفكري الذي يقدم الإسلام بشكل موضوعي ومُنصف، وعادة ما يطلق عليه حكماء الغرب الذين يركّزون على القيم الدينية الإنسانية الجامعة بين الأديان والفلسفات الكونية على اختلاف أصولها ومشاربها ومعتقداتها.[1]

1 يمكن الاطلاع على سيرة القسيس بيلي كرون وأنشطته وطبيعة الخطاب اللاهوتي

وتتوزع الكتاب سبعة فصول، تناول فيها الكاتب بأسلوب نقدي وتقويضي على التوالي: تاريخ الإسلام، غزو عبر الهجرة، غزو عبر الأسلمة، أساسيات العقيدة، أركان الإسلام، الشهادة على المسلم، هل كان باراك حسين أوباما مسلما؟ ولا يخلو كل فصل من أسلوب الترهيب من الإسلام، الذي انتشر عبر التاريخ بالسيف والقوة والغزو، وهو مرشح ليهيمن في المستقبل على الكرة الأرضية برمتها، إذا لم يستدرك المسيحيون هذا الأمر الخطير، على حد تعبيره.

تزييف حقائق الإسلام

يؤسس بيلي كرون أطروحته المناوئة للإسلام على فرضية عجيبة يجهد في تحويلها إلى مسلمة مطلقة يقنع بها أتباعه ومريديه، وفحواها أن الإسلام لا يمكن أن نعتبره دينا مثل النصرانية التي انتشرت بروح الله، بينما انتشر هو بالعنف وعبر استعباد الناس. فالعبودية تتجذر في طبيعة الإسلام الذي يحتم على الناس الخضوع المطلق لله والقرآن والرسول. وعلى العكس من ذلك، فالنصرانية تدعو إلى المحبة والرحمة، حيث الله في مقام الأب، والإبن يُفدي بنفسه ليكفّر عن الخطيئة الأصلية، ويخلص الإنسانية من الضلال والعذاب.

الذي يروج له على صفحته الرسمية على الرابط:

https://www.galministries.org/about.htm ،

تم التصفح بتاريخ 8 ديسمبر 2020.

ويمضي على هذا النحو، وهو يشرّح مختلف الحقائق القرآنية والنبوية بمبضع التأويل الشخصي دون إعمال الموضوعية وتحري الحياد المنهجي. يذهب إلى أن محمدا ليس رسولا، وأنه لم يتلق الوحي من الملك جبريل، بل ويتهكم من كونه تلقى القرآن منجّما خلال 23 عاما، وأنه حفظه عن ظهر قلب، وهو يتساءل: من منا يحفظ ما تلقاه قبل 23 دقيقة! لذلك، فكل ما في الأمر هو أن محمدا كان تحت تأثير جنّي، سوف يطوره على أساس المعلومات التي كانت متوفرة في عهده عن اليهودية والنصرانية، إلى دين أطلق عليه الإسلام، وهو لا يختلف عن الأنبياء المزيفين الذين ظهروا لاحقا، كجوزيف سميث الذي عاش في القرن التاسع عشر وزعم أنه نبي تلقى الوحي من ملك اسمه موروني، وهو يعرف بمؤسس الديانة المورمونية.

بالإضافة إلى ذلك، هناك عشرات الحقائق التاريخية واللاهوتية التي يعرضها الكاتب بأسلوب تمتزج فيه الأحكام الذاتية بالتهكم والتغليط. عندما يتناول الصدام الذي حصل بين اليهود والنبي في المدينة فهو ينتقي من المعطيات ما يخدُم خطابه الجدلي، كتغيير اتجاه القبلة المفاجيء إلى الكعبة بدل المسجد الأقصى، وتصفية اليهود، وبُغض المسلمين المطلق لليهود، وهلم جرا. وهكذا يفصل المتلقي العادي كليا عن السياق الحقيقي لذلك الصراع، ولا يشير بتاتا إلى الإطار التعددي الذي أرساه الرسول صلى الله عليه

وسلم على أساس عهدة المدينة التي ضمنت حقوق الجميع بما فيهم اليهود، بل ويحرق كل الفترات التاريخية التي شهدت تعايشا مثاليا بين المسلمين وأهل الكتاب.

وبعد مقارنته بين نظرة الإسلام والنصرانية إلى بعض المسائل الخلافية، كصُلب المسيح، وكون عيسى ابن الله، والخطيئة الأصلية، يخلص إلى أن الإسلام والنصرانية لا يمكن أن يلتقيان ويتعايشان أبدا. إذا كان الكتاب المقدس يدعو إلى حب الأعداء، فإن القرآن يعلم المسلمين قتل كل من يقف ضد الإسلام، وذبح غير المسلمين. وإذا كان الكتاب المقدس يدعو إلى حب الجيران، فإن المسلمين يؤمنون بقطع رؤوسهم. ثم إن المسيح لم يرد الشر بالشر، في حين أن إله المسلمين يحثّ على الحرب.

انتشار الإسلام عبر الهجرة

في تناوله لظاهرة الانتشار السريع للإسلام تاريخيا وفي المرحلة المعاصرة يعزو بيلي كرون ذلك إلى ثلاثة عوامل جوهرية، وهي: التوسع الديمغرافي والأسلمة والجهاد.

فيما يتعلق بالتصاعد العددي لديمغرافية المسلمين عبر العالم، فهو لا يني يزرع الرعب في قلوب الغربيين من تمدد الإسلام عبر القارات الخمس، ويوظف مختلف الإحصائيات لتأكيد ادعائه وتوصيل رسالته إلى القراء والمتابعين، ومنها الإحصائيات المتعلقة بارتفاع نسبة الخصوبة بين أوساط

المسلمين في أوروبا وأمريكا. منذ 1990 حقق المهاجرون المسلمون 90% من النمو الديمغرافي على الصعيد الأوروبي. في فرنسا يتحدد معدل الأطفال لكل أسرة في نسبة 8،1 وتصل هذه النسبة إلى 1،8 لدى الأسر المسلمة! وتبلغ النسبة العمرية المحددة في 20 عاما وأقل لدى الأطفال المسلمين إلى 45% في المدن الكبرى كنيس ومارسيليا وباريس. وفي حدود 2027 سوف يكون واحد من كل خمسة فرنسيين مسلما. وفي غضون 39 سنة فقط سوف تصبح فرنسا جمهورية إسلامية! أما في هولندا، فإن 50% من المواليد الجدد مسلمون، وبعد 15 سنة فقط سوف يصبح نصف السكان مسلمين. ولعل هذا ما ينطبق أيضا على بلجيكا، حيث 50% من المواليد الجدد مسلمون، وقد صرحت الحكومة البلجيكية أنه بعد 17 سنة، وبالتحديد انطلاقا من 2025 سوف يكون واحد من كل ثلاثة مواليد جدد من عائلة مسلمة على المستوى الأوروبي. وهذا ما يسري أيضا على باقي البلدان الأوروبية كبريطانيا وروسيا وألمانيا وغيرها. أما في الولايات المتحدة الأمريكية فسوف يبلغ عدد المسلمين بعد ثلاثين عاما إلى 50 مليون نسمة، وهذا ما تؤكده الأرقام الأخيرة التي تشير إلى أن عدد المسلمين انتقل من 8 ملايين عام 2008 إلى 12 مليون اليوم.

في مقابل ذلك، يذهب الكاتب إلى أن الإحصائيات المتعلقة بعدد المسيحيين في العالم غير صحيحة، فعدد

المسيحيين أقل بكثير من مليارين، لأن ليس كل من يدعي أنه مسيحي فهو مسيحي. لذلك، فهو يدق ناقوس الخطر أمام تراجع التدين المسيحي وهجران الكنيسة. ويستشهد في هذا الصدد بالمعمدانيين المسيحيين الجنوبيين الذين تناقص عددهم من 16 مليون إلى 5،15 مليون، وهذا العدد مرشح لأن يتراجع إلى أربعة ملايين، وبعدها إلى مليون، ثم لن يتبقى في الأخير إلا 250 ألف معمداني مسيحي. هذا يحصل رغم الأموال الطائلة التي تصرف في بعثات التبشير والتنصير من طرف منظمة الكنائس المعمدانية الجنوبية، وتبلغ هذه الأموال حوالي 2،1 مليار دولار.

أسلمة المجتمع الغربي

لم يكتف المسلمون الذين هاجروا إلى أوروبا وأمريكا بالعمل والعيش العادي، بل سعوا حثيثا إلى أسلمة المجتمعات الأوروبية والغربية التي استقروا فيها. وتُنفذ هذه الأسلمة على شتى الأصعدة، من قانون وتعليم وسياسة واقتصاد وغيرها. يذهب الكاتب إلى أن النصرانية قضت بشكل مطلق على نظام العبودية في أوروبا وأمريكا والعالم، وخير مثال على ذلك الهند التي كانت تعرف ما يطلق عليه "ساتي"، وهو حرق الزوجات بعد موت الأزواج، لكن بفضل التبشير المسيحي تم القضاء نهائيا على تلك العادة. أما المسلمون المهاجرون، فقد جاؤوا بقانون الشريعة الذي يدعو إلى قتل الناس وقطع أيديهم، وهذا ما يسعون إلى

استيراده وتطبيقه في أمريكا وغيرها من البلدان الغربية. فالذي يسرق تقطع يده اليمنى، والذي يرتد عن الإسلام يُقتل، والذي يشجع على ردة المسلمين يُقتل، وغير المسلم الذي يتزوج مسلمة يُقتل، والبنات يزوجن قاصرات ويتم ختنهن بالإكراه، والمرأة يجب عليها الزواج من رجل واحد، بينما للرجل الحق في الزواج من أربع ويمكن تطليقهن متى يشاء. وللشريعة الإسلامية وجوه أخرى، حيث المرأة لا يسمح لها بسياقة السيارة، ولا يسمح لها الحديث مع رجل أجنبي، ويمكن للمسلمين الكذب عن طريق استعمال التقية، وغير ذلك من المغالطات التي لا يتسع المجال لجردها.

وتمتد استراتيجية الأسلمة إلى التعليم حيث أصبح يحق للطلبة المسلمين الصلاة والاحتفال بأعيادهم الدينية داخل عدد من المؤسسات التعليمية في الولايات المتحدة الأمريكية حيث يمنع المسيحيون من الصلاة باسم المسيح. ويتم شراء ذمم السياسيين لتنفيذ مخطط الأسلمة، إذ يعتبر بيل كلنتون أول رئيس أمريكي أقام عام 1996 مأدبة عشاء بمناسبة عيد الفطر. ثم إنه يتم الترويج للإسلام عبر مختلف الآليات السياسية والتربوية والإعلامية، بل وحتى الموسيقى الإسلامية أصبح تأثيرها عجيبا. كما أنه لا يمكن إغفال الأسلمة الجذرية التي تشهدها السجون الأمريكية، حيث أن 80% من السجناء الأمريكيين الذين اعتنقوا دينا معينا أثناء وجودهم في السجن يصبحون مسلمين.

الحل هو التنصير!

يشدد بيلي كرون في أكثر من موضع من الكتاب على أن الطريقة الأنجع للحد من انتشار الإسلام وأسلمة المجتمع هي تنصير المسلمين لا غير. ولن يتحقق ذلك بواسطة "العين بالعين والسن بالسن"، بل لا نحتاج إلى استعمال السيف كما يفعلون هم؛ ما هو الحل إذن؟ إنهم يحتاجون ببساطة إلى المسيح، إلى أن يصبحوا مسيحيين: مسيحيين حقيقيين. ولعل الطريقة الأمثل هنا هي حب المسلمين، لأننا نحن المسيحيين مدعوون لحب أعدائنا بما في ذلك كل المسلمين. وسعيا إلى تحقيق هذا المبتغى يقترح الكاتب جملة من الآليات الدعوية لإقناع المسلمين، التي لا تختلف كثيرا عما كان سائدا لدى اللاهوتيين الأوروبيين القدامى.

يخاطب الكاتب قراءه ومريديه بأنهم أمام معركة روحية حساسة، حيث يمكن مقارنة عمل المسيحي التبشيري تجاه المسلمين بذلك الطفل، موزع الجرائد الذي عليه وضع الجرائد في مكانها المحدد دون أن يطلب من الناس قراءتها، فنحن ننشر الإنجيل الذي يعني الخبر الجيد، ولا يلزمنا أن نحدثهم عما يجب الإيمان به أو عما ينبغي قبوله. إن المطلوب منا هو أن نعرض عليهم هذا فقط، ثم نذهب إلى حال سبيلنا. كما أنه يجب علينا الدعاء لهم، لأننا لا نستطيع أن نغير قلب أحد، فالله وحده هو الذي يصنع ذلك، وهو وحده الذي ينقذ ويخلص. ثم إنه لا ينبغي لنا

مجادلة المسلمين أو مواجهتهم، وإذا تكلمنا معهم علينا أن نزن كلامنا ونحدد عباراتنا بشكل دقيق، ونتفادى التحدث معهم في جماعة، بل فردا فردا.

وما دام أن القرآن الكريم يشكل أكبر تحد لأهل الكتاب عامة وللنصارى خاصة، فإن القسيس بيلي كرون يوصي المبشرين بأن لا يقتربوا أبدا من موضوع القرآن، فهذا لا يناقش عند المسلمين. وهذا ما يسري أيضا على القضايا السياسية والتاريخية المعقدة، كالحروب الصليبية التي يرى أنها ليست مسألة مسيحية، بل تتعلق بالدرجة الأولى بالكنيسة الكاثوليكية الرومانية. ثم ينهي كلامه في هذا الباب بأهمية الكلام على المسيح في حضرة المسلمين، لأنهم يقدرونه إلى حد كبير.

هل باراك حسين أوباما مسلم؟

يختم بيلي كرون مؤلفه بفصل كامل حول الرئيس الأمريكي باراك أوباما محاولا إبطال علاقته العقدية بالنصرانية من جهة، وإثبات كونه في الأصل مسلما من جهة أخرى، لذلك فهو يصفه صراحة بأنه حمل في لباس ذئب مفترس! ويعتمد الكاتب في الدفاع عن فرضيته على مجموعة من التبريرات التي يفسرها كما العادة تفسيرا ذاتيا يفتقد إلى الموضوعية، ونلخص أهمها فيما يأتي:

- يبرر كون أوباما مسلما بأصله الكيني، الذي يؤكده هو نفسه في أكثر من مناسبة، ويكشف عن ولائه الكامل لوطنه الأصل كينيا على حساب الولايات المتحدة الأمريكية التي يعتبر رئيسا لها.
- يفسر ولاءه التام للإسلام كونه ينحدر من عائلة كلها مسلمة، ولا يستبعد أن يكون أوباما مسلما أيضا. ثم إنه يتعاطف كثيرا مع أخيه مالك المحسوب على الإخوان المسلمين، الذين استقبلهم في البيت الأبيض، علما بأنهم ارتكبوا أبشع المجازر ضد المسيحيين. كما أن أخاه حضر مؤتمرا في الخرطوم أشرف عليه آنذاك الرئيس عمر البشير المطلوب دوليا.
- يرى أن أوباما عندما يلتقي المسلمين ويخاطبهم يصرح باسمه الثلاثي الكامل (باراك حسين أوباما) ويفتخر بذلك أيما افتخار، وهذا ما يحيل على جذوره الإسلامية الحقيقية، لكن عندما يكون في مجالس غير خاصة بالمسلمين فهو يستعمل اسمه الثنائي (باراك أوباما).
- لا يحضر الطابع المسيحي بتاتا سواء في شخصية أوباما أو في خطابه، وإلا كيف يفسر اعتماده قوانين تتناقض مع المسيحية الحقيقية، فهو أول رئيس يقر زواج المثليين، ويدعم الإجهاض بميزانية 50 مليون دولار

لقتل الأطفال الأبرياء في الخارج حفاظا على صحة المرأة ورشاقتها.

- لا يساند أوباما إخوانه المسيحيين، فإدارته تعتبر الأكثر مواجهة للمسيحيين في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى العكس من ذلك، فهو يتعاطف دوما مع المسلمين ويحتفل بأعيادهم.

خلاصة القول، يمكن اعتبار تعاطي القسيس الأمريكي بيلي كرون مع الإسلام استمرارية للجدل الكلامي المسيحي التقليدي، الذي كان يهدف إلى إبطال ثوابت العقيدة الإسلامية كالله والقرآن والنبي وغيرها، ومن ثم تقويض الإسلام وإحلال النصرانية محله. وعادة ما يفتقد ذلك الجدل إلى الموضوعية والحياد المنهجي ويتضمن مختلف المغالطات التاريخية والمعرفية، ما يجعله يقف على النقيض من دعاة الحوار الإسلامي المسيحي وفلاسفة التعددية في سياقنا المعاصر.

الفصل الثاني:
الإسلام وإشكالياته المعاصرة.. وفهم الغرب لها

دليل تعريفي بالإسلام

أثناء قراءتي المسحية الأولية لكتاب **دليل حول الإسلام**[1] وجدت أن المؤلف يكتب عن الإسلام بطريقة خاصة، تختلف نوعا ما عن الذين اشتغلوا على قضايا الإسلام في الغرب، سواء على المستوى الأكاديمي أو على المستوى الإعلامي. لذلك، عنّت لي فكرة أن أعيد قراءة هذا الكتاب بتعمق وأكتب عنه مراجعة فكرية تجمع بين التوصيف والرصد والنقد، لاسيما لمفكر غربي مغمور عربيا وإسلاميا، ولرؤيته حول جملة من الإشكاليات الإسلامية التي تتراوح بين الموضوعية النسبية والنقد المنفتح، الذي قلما يحضر فيه خطاب التنقيص والإساءة الذي استفحل في الآونة الأخيرة لدى مجموعة من المهتمين بالإسلام في أوروبا والغرب، من مفكرين وباحثين وإعلاميين وسياسيين وأدباء.

---

1 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. (transl. Harold ten Cate). Nederland: Elia stichting.

يتعلق الأمر بـ James A. Beverley الذي يشغل مديرا مساعدا في المعهد الأمريكي لدراسة الدين في سانتا باربارا بكاليفورنيا، وأستاذا في مؤسسة تايندال في تورنتو بكندا. كما يساهم في تحرير مجلة المسيحية اليوم، وله مشاركات متنوعة في مجلات مختلفة، كالإيمان اليوم، والهيبة وغيرهما. ويظهر من خلال دراسة سيرته العلمية أن مجالات اهتمامه تتعدد، فهي تتوزع على الأديان الكونية الجديدة، والأخلاق المسيحية، ولاهوت الكاثوليكية الرومانية، والجدل المسيحي وغيرها. ما يجعله يرتبط بشتى المؤسسات الأكاديمية والدينية (الأكاديمية الأمريكية للدين، الجمعية اللاهوتية الإنجيليكية، المؤسسة الكندية لدراسة الدين، الجمعية العلمية لدراسة الدين، المؤسسة الفلسفية الإنجيليكية). وهذا ما أهله لأن يكون خبيرا في القضايا المدنية والجنائية المتعلقة بالحركات الدينية المعاصرة. وقد عمل أستاذا في مختلف أنحاء العالم، كأوروبا والهند وإفريقيا وأمريكا الجنوبية وأمريكا الشمالية. كما أنه ألف، بالإضافة إلى الكتاب الذي هو موضوع هذه المراجعة، مجموعة من الكتب أهمها: السيد المسيح والإسلام، الإسلام في أمريكا، موسوعة الأديان.[1]

1للاطلاع على سيرة المفكر جيمس أ. بيفيرلي، يمكن تصفح صفحته الرسمية على الرابط:https://www.tyndale.ca/seminary/faculty/james-beverley ، تم التصفح بتاريخ 16 ديسمبر 2019.

وقد سعى بفيرلي من خلال دليله حول الإسلام إلى الإجابة عن سؤالين جوهريين كما يشير في مقدمة الكتاب. أولهما عن "ماهية" المسلمين وطبيعة العقيدة التي يؤمنون بها. والسؤال الآخر عن علاقة المسلمين بما أصبح يعرف اليوم بـ "الإرهاب العالمي".

ويتضح من خلال مراجعة الكتاب أن مؤلفه يحاول أن يعتمد مقاربة "شبه" موضوعية ومعمقة لمختلف قضايا الإسلام ذات الطابع الإشكالي خصوصا في التصور الغربي المعاصر. فهو يؤسس خطابه على جملة من الرؤى والطروح التي يستقيها من التراث الديني والفكري الإسلامي، لا مما تتناقله وسائل الإعلام أو يروجه الكتاب غير المتخصصين، لذلك اتسم دليل بفيرلي حول الإسلام بالاطلاع الواسع والعقلاني عن الإسلام في مختلف أبعاده وحيثياته العقدية والتاريخية والاجتماعية والمذهبية. ومرد ذلك إلى أنه يهدف في المقام الأول إلى تقديم صورة تقريبية حول الإسلام لغير المسلمين، حتى يتأتى لهم الاستيعاب الصحيح للجوانب المشكلة في الدين والثقافة الإسلاميين، التي يستعصى فهمها لاسيما من طرف المواطن الغربي العادي جراء طبيعة التفكير المجبول عليه فيما يتعلق بما هو إسلامي.

لذلك، فإن الباعث الجوهري الذي يجعل المؤلف يتعاطى بهذا المنهج مع الإسلام هو استشعاره بأن ثمة حاجة ماسة من قبل المجتمع الغربي إلى معرفة الإسلام. يقول في هذا

الصدد: يبدو أن هناك اليوم أكثر من ذي قبل حاجة ماسة إلى معرفة حقيقة الإسلام، ورسوله، وكتابه المقدس. فالناس يريدون معرفة وجهة نظر الإسلام في الواقع المعاصر حول دور المرأة والجهاد والإرهاب والصراع الإسرائيلي الفلسطيني.[1] وقد عالج الكاتب جل هذه القضايا، بدءا من حقيقة الإسلام وصولا إلى القضية الفلسطينية، مؤكدا بأنه سوف يدرسها بشكل دقيق وموضوعي وصادق؛ لأن "الغرض من هذا الكتاب هو تقديم معلومات دقيقة وموضوعية وصادقة حول هذه القضايا كلها، خصوصا وأن هذا الدليل حول الإسلام يهدف بالأساس إلى توصيف أهم الأحداث ووجهات النظر".[2]

قضايا جوهرية لفهم الإسلام

اشتغل بفيرلي في دليله حول الإسلام بدءا بأهم القضايا التي تشكل جوهر الإسلام، وتعتبر بمثابة المفاتيح والأدوات التي تمكن الإنسان غير المسلم من فهم ما استغلق عليه من أمور الدين الإسلامي، وما استشكل عليه من القضايا الثقافية والتاريخية. ولعل من شأن مثل هذا التناول المتجرد مما هو إيديولوجي أن يقدم صورة موضوعية تقرب الإنسان الغربي العادي من حقيقة الإسلام، التي تجهلها الأغلبية

1 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 5

2 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 6

الساحقة، بل حتى تلك الفئة التي قرأت عن الإسلام أو تعرفت على بعض جوانبه، لأنه غالبا ما يتم ذلك التعرف من خلال مصادر غير موثوق فيها، ما يترتب عن ذلك نشوء صور نمطية سلبية في المخيال الشعبي العربي عن الإسلام والمسلمين.

وتتحدد أهم القضايا التي تناولها بفيرلي في حقيقة الإسلام، رسول الإسلام، القرآن الكريم، المسلمون، المرأة، الجهاد والتطرف، القضية الفلسطينية. سوف نخصص الشق الأول من المراجعة للقضايا الثلاث الأولى: الإسلام، الرسول والقرآن، التي تناولها المؤلف بشكل وصفي ستاتيكي (جامد) ارتكز فيه أكثر على آاليات تحديد المصطلح، الشرح ونقل المعرفة، في حين سوف نعقد الشق الثاني للقضايا الأربع الأخرى، وهي المسلمون، المرأة، الجهاد والقضية الفلسطينية، التي يقاربها الكاتب بكونها إشكاليات تطرح نفسها بقوة في العالم المعاصر. لذلك كان يميل أكثر إلى إعمال رأيه فيها أكثر من التوصيف والنقل.

الإسلام وحقيقته

يذكر المؤلف في البداية أن واحدا من ستة يعتبر مسلما على مستوى ساكنة العالم، أي من أتباع الإسلام الذي يعتبر اليوم الديانة الثانية الأكبر كونيا بعد المسيحية. انطلاقا من القرن السادس بعد الميلاد صار يشكل الإسلام قوة دينية

وثقافية وسياسية وازنة. أما في العصر الراهن فيهيمن الإسلام في الشرق الأوسط وأجزاء مهمة من القارتين الإفريقية والأسيوية.[1] وبعد تأطيره التاريخي والمعاصر المقتضب للحضور الإسلامي، يمضي المؤلف لتحديد مصطلح الإسلام بشكل منهجي مركز، من خلال التوقف عند ثلاثة جوانب أساسية سلط فيها الضوء على جملة من القضايا العقدية والإيمانية والتعبدية.[2]

تطرق في الجانب الأول إلى أهم المرتكزات التي يتأسس عليها الدين الإسلامي، وهي أربعة في تقديره. أولها الإيمان المطلق بالله تعالى والخضوع له بالعبادة. وثانيها الاعتقاد المطلق برسالة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وخاتمية نبوته وعصمته. وثالثها الإيمان بأن القرآن كلام الله تعالى، وأنه المصدر الأول لكل المسلمين. وآخرها اعتبار أن الإسلام ينبني على قانون الشريعة الإسلامية. أما الجانب الثاني فيخصصه المؤلف لأركان الإسلام الخمسة (الشهادتان، الصلاة، الصوم، الزكاة والحج). في حين يعالج المؤلف في الجانب الثالث جملة من المقولات الإيمانية، التي

1يغفل الكاتب هنا الحضور الإسلامي الكبير في القارة الأوروبية، حيث يناهز عدد المسلمين 53 مليون نسمة، حسب إحصائيات المعهد المركزي لأرشفة الإسلام في ألمانيا عام 2007. ينظر:

Zeit. 'Über das Zentralinstitut Islam-Archiv-Deutschland'. in: www.zeit.de, 19 April 2007 (Nr. 17)

2 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 8

تشكل جوهر العقيدة الإسلامية. فهو يشير إلى أن الإسلام[1] لم يظهر بمجيء النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، بل قبل ذلك بكثير، أي منذ خلق آدم (عليه السلام) الذي كان مسلما. كما أن مؤمني اليهود والمسيحية كانوا أيضا على دين الإسلام. غير أن أن المسلمين لا يعتقدون كما هو حال النصارى بما يطلق عليه الكاتب "إرث الخطيئة"، حيث خلق الناس للتكفير عن خطيئة أبيهم آدم، فهذا الأمر غير وارد في الإسلام. فالإيمان لدى المسلمين مطلق بوحدانية الله تعالى ومشيئته. كما أن الكون في الاعتقاد الإسلامي ليس خاصا بالإنسان وحده، بل مشترك مع غيره من المخلوقات كالملائكة والجن والشياطين وغيرها. ثم إن الإيمان باليوم الآخر أساسي في الإسلام، ففي ذلك اليوم سوف يحاسب الإنسان على ما فعل في دنياه، فيجازى بالحياة الأبدية إما في الجنة وإما في النار. والمؤمنون سوف يخلدون في الجنة، حيث سيتمتعون بحياة رغيدة ويعيشون في هناء ونعيم. بالإضافة إلى كل ذلك، فإن المسلمين يكنون احتراما كبيرا لعيسى عليه السلام بكونه أحد أنبياء الإسلام أيضا.[2]

ما يسترعي الانتباه هنا، هو أن المؤلف يكسر عادة تناول أركان الإيمان الستة كما هي متعارف عليها في الإسلام

---

1 بمعنى دين التوحيد والوحداينة، حيث الخضوع لله الواحد الذي لا شريك له.

2 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 8

(الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)، ويجتهد في جرد سبع مقولات إيمانية في الإسلام، وهي كلها مستوحاة من أركان الإيمان الستة؛ فحديثه على سبيل المثال لا الحصر عن أن الأرض أيضا موطن للملائكة وغيرها من المخلوقات يحيل على الركن الثاني من أركان الإيمان الذي هو الإيمان بالملائكة، وكلامه على النبي عيسى يحيل على الإيمان بالرسل، وهلم جرا.

النبي محمد

يخصص المؤلف فصلا للحديث عن رسول الإسلام وعن مختلف جوانب حياته الشخصية والعامة المتعلقة بالدعوة الإسلامية، وهو يدرك عظمة شخصية النبي وتأثيره الكبير في مسار تاريخ الإنسانية. ويشير إلى أن هناك نوعا من الانقسام في المواقف تجاه نبي الإسلام، وهذا لا يشكل في نظر المؤلف أي مفاجأة، ما دام أن حياة الرسول شهدت مختلف النوازل والتقلبات التي من شأنها أن تخلق اختلافا في المواقف والإدراك، مثل بعض الأحداث الخارقة وغير العادية (المعجزات)، والحروب المختلفة التي كان الغرض منها نشر الإسلام، ليس بين الأجانب فقط، بل بين العرب أنفسهم أيضا.[1] ويصنف المؤلف هذه المواقف تجاه النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى ثلاثة اتجاهات:

1 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 25

موقف المسلمين الصادقين: وهو موقف إيجابي ينطوي على احترام كبير من المسلمين للرسول، يمكن مقارنته باحترام المسيحيين للنبي عيسى، والهنود لكريشنا، والسيخ لخورو ناناك، والبوذيين لبوذا. ولعل هناك من المسلمين من لا يقبل مثل هذه المقارنة، وإن كانت من باب المجاز، لأنه لا يمكن وضع كل من رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ورسول النصرانية عيسى عليه السلام في المرتبة نفسها التي يوضع فيها كريشنا وناناك وبوذا. وليس من المنطقي أن يماثل الإسلام والمسيحية بالهندوسية والبوذية. ولعل هذا التبجيل العظيم الذي يكنه المسلمون للنبي محمد من شأنه أن يجعلهم يسخطون بشدة على كل من يسيء إليه. ويمثل لذلك بموقف الشيخ أحمد ديدات من الكاتب سلمان رشدي في آياته الشيطانية، إذ كتب ضده منشورا يحمل عنوان: كيف يوقع رشدي الغرب في الحماقة.[1] إلى أي حد يمكن وضع سخط عوام المسلمين من الإساءة إلى النبي محمد في نفس خط رد الشيخ ديدات الذي يعتبر أحد أساطين الجدل الديني المعاصر وحوار الأديان؟

موقف غير المسلمين المعترفين بأهمية الإسلام: وهو أيضا موقف إيجابي لصالح الإسلام، ويورد المؤلف في هذا الصدد آراء بعض المفكرين الغربيين المشهورين مثل الفونس

1 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 26

دي لامارتين وهانس كونغ. أولى الفونس دي لامارتين في وصفه لتاريخ الأتراك أهمية كبيرة لشخصية الرسول، معتبرا إياه عبقريا بكل المقاييس الإنسانية. فأغلب المشاهير صنعوا السلاح وسنّوا القوانين وأسسوا الإمبراطوريات، ومع أنهم تمكنوا من تحقيق شيء ما فإن ذلك لم يتعد الهيمنة أو القوة المادية. في مقابل ذلك، لم يقتصر عمل رسول الإسلام على تكوين الجيش وتنظيم الدولة والشعب بالقوانين فقط، بل قاد ملايين الناس، وأسقط الطواغيت، وهدّم الأوثان والعقائد، ما أثر بشكل جذري في أفكار واعتقاد ونفوس الناس.[1] أما هانس كونغ فقد تعرض في كتابه **المسيحية والأديان العالمية** إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) مستشهدا بنص من وثيقة لجمعية أساقفة الفاتيكان، جاء فيه أن الكنيسة الكاثوليكية تنظر باحترام كبير إلى المسلمين الذين يؤمنون بالإله الحق الذي خاطب الناس، وقد علق على هذا النص، "بأنه ينبغي لهذه الكنيسة وغيرها من الكنائس المسيحية أن تنظر كذلك باحترام كبير إلى هذا الشخص، الذي ألغي اسمه بخجل من هذه الوثيقة، وهو الذي تمكن من توحيد المسلمين وتوجيههم إلى عبادة الإله الأوحد، الذي تكلم محمد الرسول بوحي منه".[2]

---

1 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 28

2 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 29

موقف غير المسلمين المعادي: وهو موقف سلبي ينعت نبي الإسلام بأنه مصدر الشر. وقد ظهر هذا الموقف التنقيصي أثناء الحروب الصليبية، وبالتحديد أثناء الاصطدام مع الجيوش الإسلامية في مناطق وبلدان كانت تحت النفوذ الروماني الموجه من قبل الكنيسة الكاثوليكية. وما دام أن الإسلام كان يشكل تهديدا للوجود الروماني الكاثوليكي، فإنهم كانوا يرون في رسوله شخصا معاديا للنصرانية، وخير من يعكس هذا الموقف السلبي صاحب ملحمة **الكوميديا الإلهية** الشهيرة دانتي ألجييري، الذي ولد في مدينة فلورنس بإيطاليا سنة 1265م. فهو يضع الرسول في أسفل درك من الجحيم.[1] وقد استوحى منه هذه الفكرة ويليام إ فيبس، في كتابه **محمد والمسيح**، الذي زعم أن قدر محمد هو أنه يتلقى عقوبات عظيمة وخالدة في النار. ثم إن فيبس لا يقف عند هذا الحد، بل يتبنى أفكار لوثر المعادية للرسول، فهو يردد بلسان سليط: هل يعقل أن يدعى الرسالة من كان أبلها يستشيط غضبا وحمارا؟ تملكت أشباح الكذب نفسية محمد، وقتل الشيطان بقرآنه نفوس الناس، وخرب إيمان المسيحيين، وهو يستمر والسيف بيده ليقتل أجسامهم أيضا. أما المثقفون العلمانيون فيرى المؤلف أن عداءهم للرسول كان أقل حدة، وإن كانوا ينعتونه

1 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 29

بالجهل والهمجية واللاعقلانية والنفاق واستعمال السيف وحب النساء. وقد ركز الكثير من الكتاب والإعلاميين والمثقفين بعد هجمات 11 سبتمبر 2001 على ما يزعمون أنه الجوانب المظلمة من حياة محمد، مبررين أن الأعمال الإرهابية التي تنفذ ضد الغرب تستلهم من سيرة حياته.[1]

كتاب الإسلام المقدس

فيما يتعلق بالقرآن الكريم يقدم المؤلف لمحة تقريبية، حيث يذكر أنه يتضمن حوالي 6000 آية، وأن الكثير من المسلمين يحفظونه عن ظهر قلب، ما يشير إلى مدى أهمية كتاب الإسلام المقدس في العالم الإسلامي وقيمته القصوى لدى كل مسلم. ثم تحدث عن أصل القرآن وكيف تلقاه الرسول عبر الوحي. كما تناول بنية هذا الكتاب وأهم الموضوعات التي يحتوي عليها، كالله، محمد، المعلومات المستوحاة من العهدين القديم والجديد، عيسى، المؤمنون، المشركون، الجنة والنار ويوم الحساب.[2] ويظهر أن أغلب ما أورده الكاتب في هذا الصدد لا يخرج على ما هو سائد في الأدبيات الإسلامية، لذلك ارتأينا أن نمر عليها مرور الكرام تفاديا لأي تكرار أو إسهاب.

---

1 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 29-30

2 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 30-32

يرى بفيرلي أن تقييم الإسلام مرهون بمدى معرفته بأهم العوامل التي توجه الحياة اليومية للمسلم، سواء في المنزل، أو في العمل، أو في المجتمع.[1] وهو يعني أن ثمة حاجة ماسة إلى مزيد من المعرفة، التي لا تتعلق فقط بما سبق وتناوله من قضايا عقدية وتاريخية وثقافية، بل هناك جوانب أهم من ذلك بكثير، كالسلوك اليومي، والوضعية النفسية والاجتماعية للمسلمين وغيرهما.

وقبل أن ينزل الكاتب إلى واقع المسلمين المعيش، يمهد لذلك بإطلالة مسحية لأهم مراحل تاريخ الإسلام، وأهم العوامل المؤثرة فيه. ثم يعرف بعد ذلك بأهم التيارات الإسلامية من سنة وشيعة وغيرهما، ليصل إلى بيت القصيد وهو المسلمون في السياق العالمي الحالي، حيث يعتبر الإسلام الدين الثاني بعد المسيحية، ويعيش المسلمين في كل دول العالم. حسب إحصائيات **كتاب الوقائع** الذي تصدره المخابرات الأمريكية CIA، أنه من بين مجموع دول العالم الذي يصل إلى 234 دولة تعيش أغلبية مسلمة في 48 دولة،

1 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 48

وأقلية مهمة في 26 دولة. وهذا يدل على أن الإسلام يحضر بقوة في حوالي ثلث دول المعمور.[1]

أما فيما يتعلق بالولايات المتحدة الأمريكية، فإن عدد المسلمين يقدر فيها بحوالي ستة ملايين مسلم، وفي غضون 15 سنة سوف يناهز عددهم عدد اليهود، ليصبح الإسلام ثاني أكبر ديانة في الولايات المتحدة الأمريكية بعد المسيحية. وقد وفد المسلمون لأول مرة كرقيق على العالم الجديد منذ أواخر القرن الثامن عشر. أما عن طريق الهجرة فقد تم ذلك منذ أواخر القرن التاسع عشر، ثم بعد الحرب العالمية الثانية. وسوف تفد موجات جديدة من المهاجرين المسلمين على أمريكا في أواخر ستينيات القرن الماضي في عهد الرئيس جونسون.[2]

وبعد استعراضه لأهم جوانب تاريخ الإسلام والمسلمين قديما وحديثا، لاسيما في الولايات المتحدة الأمريكية، ينتقل المؤلف إلى واقع المسلمين المعيش، قصد تقديم رؤية واقعية حول أهم محددات حياة المسلم العقدية والأخلاقية والسلوكية، إذ يوضح أن للمسلم التزامات وواجبات لا بد من أدائها، كالصلاة في وقتها وصوم رمضان والعقود المكتوبة. ويعرف المسلم بقيمة الكرم، لكن لا تنتظر الكحول ولحم

1 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 57

2 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 57-58

الخنزير على مائدته! ثم إن المسلم يعترض بشدة على بعض السلوكات اللاأخلاقية، مثل الإجهاض والانتحار والشذوذ الجنسي. كما أن المسلم يفي بالوعود، خصوصا عندما تكون العهود موثقة ومكتوبة، ولا يتعامل بالربا. وفوق ذلك كله، فالمسلم يعتبر نفسه أينما كان جزءا لا يتجزأ من المجتمع الإسلامي العالمي، لذلك يسود الشعور نفسه لدى كل المسلمين فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، ويرون أن الغرب لا يتعامل معها بجدية وعدل.[1]

المرأة في الإسلام

يخصص بفيرلي في دليله حول الإسلام حيزا مهما للمرأة، من خلال دراسة مختلف القضايا المتعلقة بها، كعلاقة الرسول بالمرأة، والمرأة في القرآن، وعادة الختان، والمرأة في العالم الإسلامي المعاصر، وغير ذلك. إلا أن أهم عنصر يسترعي الانتباه هو معالجة المؤلف لبعض المواقف السائدة داخل الثقافة الإسلامية من قضية المرأة. يقول بهذا الخصوص: "يعتقد المسلمون المتشددون أن المرأة منحت الحرية الحقيقية في الإسلام، وأن الرسول حرر النساء، وأن هناك مساواة بين الرجل والمرأة، وأن غير المسلمين أخطأوا في فهم هذا الموضوع. في مقابل ذلك، يرى منتقدو الإسلام أن المرأة اضطهدت في الثقافة الإسلامية، وأن الرسول احتقر

1 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 65-66

المرأة، وأن القرآن يتضمن مواقف تسيء إلى المرأة. لذلك فإن الكثير من غير المسلمين يعتقدون أن المرأة تعامل في الشريعة والتقاليد الإسلامية كمواطن من الدرجة الثانية، لأنها تتعرض لسوء المعاملة في أغلب الدول الإسلامية".[1]

ويعزز موقف الفريق الأول بجملة من الأدلة، كتحرير الإسلام للبنات من الوأد، والمساواة بين الرجل والمرأة، وحق التعليم للمرأة، وقدسية العلاقة الزوجية، وتلبية الرغبة الجنسية للمرأة وحسن المعاشرة، وحق المرأة في الإرث، وغير ذلك. كما أنه يذكر جملة من المواقف التي يتذرع بها الطرف الثاني المعارض، كاعتبار أن الكثير من النسوة سوف يدخلن النار، وزواج الرسول من عائشة وهي في سن السادسة، وكون النساء ضعيفات عقل، وبطلان صلاة الرجل إذا مر أمامه كلب أو امرأة، وما إلى ذلك.[2]

ما يؤاخذ على المؤلف في تفسيره لمسألة المرأة في الإسلام، أنه يكتفي بتقسيم ثنائي لمواقف المسلمين تجاه المرأة، فهو لا يعكس حقيقة تلك المواقف كما هي، لأنه يقتصر على موقفي المتشدد والمنتقد دون تجاوزهما إلى غيرهما من المواقف المعتدلة أو التوفيقية أو الحداثية.

---

1 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 67

2 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 67-71

من الجهاد إلى الإرهاب

يذهب المؤلف إلى أن مفهوم الجهاد تغير معناه. إن هجمات "11 سبتمبر 2001 غيرت بشكل مطلق دلالة مصطلح الجهاد. رغم أن الكثير من المسلمين يؤكدون أن هذه الكلمة تدل على الكفاح والمجاهدة النفسية، غير أن المقاتلين الإسلاميين يتبنون رؤية أكثر سوداوية حول هذه الكلمة التي تعني عندهم: الحرب المقدسة".[1] ثم إن مأساة 11 سبتمبر خلقت نقاشا حادا حول دلالة مصطلح الجهاد، والطبيعة الحقيقية للإسلام. ويلخص المؤلف بعض الحقائق الإشكالية المتعلقة بمفهوم الجهاد في الإسلام كالآتي:

- يستعمل القرآن مصطلح الجهاد عندما يتعلق الأمر بمجاهدة النفس وكفاحها من قبل الشخص.
- يوظف القرآن مصطلح الجهاد عندما يتعلق الأمر بالحرب المقدسة أو أي مواجهة ميدانية مسلحة.
- كثيرا ما كان الرسول يحضر ويشارك بنفسه في المواجهات المسلحة.
- يأمر الرسول بنشر الإسلام في العالم قاطبة.
- تبرر الشريعة الإسلامية الدفاع عن النفس وبعض الأعمال الحربية.

1 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 81

- لم يفتح المسلمون البلدان والشعوب غير العربية عن طريق الحرب.
- يقسم المسلمون العالم إلى قطبين: المسلم وغير المسلم.
- يرى الكثير من المسلمين أنه على كل الدول الخضوع للشريعة الإسلامية.
- يبدو أن الكثير من المسلمين متسلطون وغير ديمقراطيين ويرفضون معارضة المنشقين.

من خلال هذه الحقائق الإشكالية والمتعارضة يستجلي المؤلف أن هناك نمطين من الإسلام. فالنمط الأول تمثله الأغلبية الساحقة من المسلمين، التي ترى أن أيا من العناصر المذكورة لا تبرر ممارسة الإرهاب، وأن ما ورد في القرآن الكريم عن الحرب لا يبرر أحداث الحادي عشر من سبتمبر. أما النمط الآخر فيمثله المتطرفون الذين يرون أن ما ينفذونه من عمليات جهاد حقيقي وحرب مقدسة ضد المشركين وأعداء الإسلام. وهذا يدل على أن هجمات 11 سبتمبر كشفت أن هناك إسلاما آخر؛ إنه إسلام المسلمين المستعدين للموت في سبيل الله.[1]

بغض النظر عن الربط المجحف للإسلام بآفة الإرهاب لأسباب سياسية وإيديولوجية، فإن الحقائق التي أوردها المؤلف أعلاه، يمكن أن تنطبق على كل دين، فعندما نحذف

1 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 82

كلمة الإسلام ونعوضها بالنصرانية أو اليهودية أو حتى الهندوسية، نجد أن كل واحدة من هذه الديانات، تدعو إلى مجاهدة النفس ومحاربة الأعداء، بل وتسعى إلى الانتشار عن طريق التبشير أو الحروب، وأنها تنظر إلى العالم نظرة حصرانية تدعي فيها أنها وحدها التي تملك الحقيقة المطلقة.

ولا يكتفي المؤلف بتوصيف إشكالية الإرهاب في الإسلام المعاصر، بل يحاول التنقيب عن الأسباب المؤدية إليها حتى يتمكن من استيعاب هذه الظاهرة الطارئة وفهم ملابساتها الخفية والمعلنة. ويطرح ست نفسيرات لظاهرة الإرهاب عامة، ولهجمات الحادي عشر من سبتمبر خاصة، وهي كالآتي:[1]

1. الإرهابيون مرضى نفسيا، إذ لا يمكن تصور ما قاموا به، فهو خارج المنطق وضرب من اللا معقول.
2. الإرهابيون مجسدون للشر، ولا يمكن تفسير سلوكهم إلا بأنه بغض شيطاني.
3. إيديولوجيا الإرهاب تعني أن الولايات المتحدة الأمريكية عدوة لله والإسلام، فهي تستحق أن تخرب.
4. هذه الهجمات الإرهابية تظهر أن الإسلام دين السيف، وأنه سبب الشر.

1 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 87-97

5. هذا بسبب ذنب أمريكا التي تتسلط على العالم الإسلامي وتساعد إسرائيل على اضطهاد الفلسطينيين.
6. عداء أمريكا آت من حسد المسلمين لها على رفاهيتها وحريتها التي يفتقدونها في بلدانهم.

لعل التفسيرات أعلاه تنطوي على جانب نسبي من المصداقية، فهي تشير إلى أن إشكالية الإرهاب تمتد عبر مختلف أطراف الكرة الأرضية حيثما وجدت المصالح الأمريكية بشكل خاص، لكن لماذا لا يتساءل المؤلف عن السبب الجوهري الذي يقف وراء هذا التهديد الإرهابي الذي لا يستهدف إلا المصالح الأمريكية ومصالح كل من يدور في فلك السياسة الأمريكية؟ لماذا لم يتم تهديد المصالح الصينية مثلا، علما بأن الصين أصبحت تمثل اليوم أكبر قوة اقتصادية وعسكرية وثقافية في العالم؟

إن الإرهاب ليس مرضا نفسيا، ولا تجسيدا للشر، ولا إيديولوجيا عشوائية، ولا نشرا للإسلام بالسيف، ولا حسدا لأمريكا، ولا غير ذلك. بل رد فعل على إرهاب أكبر منه؛ إرهاب يتأسس على ثقافة الظلم والاحتقار والاستعلاء والاستعمار. لو بقيت أمريكا في حدودها، وانشغلت بقضاياها الداخلية لما وصلت الأمور إلى هذه الدرجة من العنف والانتقام. إن الإرهاب الحقيقي هو الذي تمارسه أمريكا، التي باركت المشروع الصهيوني على أنقاض شعب بريء، فكان من الطبيعي جدا أن يسفر ذلك عن رد فعل أعنف منه، وهو ما

يطلق عليه في الأدبيات الإعلامية والسياسية الغربية بالإرهاب الإسلامي، غير أنه في الحقيقة ما هو إلا شكل من أشكال المقاومة التي تمارسها كل المخلوقات عندما تكون مهددة من أي عدو خارجي، فما بالك والإنسان!

لذلك، فما يؤاخذ على المؤلف بفيرلي هو أنه يتعامل مع الإشكال الإسرائيلي تعاملا عاديا، حتى إنه يخيل للقاريء أن الفلسطينيين هم الجلاد والصهاينة هم الضحية! وهو يدرك أيما إدراك الأخطاء التاريخية القاتلة التي ارتكبتها الصهيونية في حق الفلسطينيين والعرب. لذلك فإن حل ما يدعونه "الإرهاب الإسلامي" لا يوجد في يد المسلمين، بقدر ما يوجد في يد الصهاينة وحلافائهم الغربيين.

القضية الفلسطينية

عقد المؤلف فصلا كاملا تحت عنوان: فلسطين، غير أنه اهتم فيه أكثر بإسرائيل، فكان يستحسن أن يطلق عليه عنوان: إسرائيل. فهو يحاول تقريب القاريء من بعض الحيثيات التاريخية والواقعية للصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وغالبا ما تميل كفة تناوله إلى الجانب الإسرائيلي، ليس بتبرير ما تمارسه من اعتداء وانتهاكات؛ فهو يدين كلا الطرفين، بل بتبرير الحق الإسرائيلي في الوجود على

أرض فلسطين. وهذا ما يتبين من خلال العناصر الآتية التي يضمنها مقاربته:[1]

- يربط الحديث عن الوجود الفلسطيني بمجيء أول موجة من المهاجرين اليهود إليها سنة 1882. ولم يول أهمية كافية لتاريخ فلسطين الممتد عبر قرون طويلة، فهو بذلك يحرق ماضي الشعب الفلسطيني الذي يتجذر في تلك الأرض كما تتجذر أشجار الزيتون.
- يتناول الصراع الفلسطيني الإسرائيلي كأن الفلسطينيين هم الذين تسببوا فيه تاريخيا، وهو يغض الطرف عن تواطؤ الغرب الرأسمالي والاستعماري، الذي قدم فلسطين على طبق من ذهب للحركة الصهيونية.
- يرى أنه خلال حوالي 120 سنة ضيعت الكثير من فرص السلام ووضع حد للصراع، سواء من قبل اليهود أو من طرف العرب، لأن الجميع كانوا يسمعون إلى أصوات مغلوطة. لكن كيف للضحية أن تعقد السلام مع الجلاد الذي سرق أرضها على مرأى من العالم؟
- يظهر نوعا من الشفقة في معالجة قضية فلسطين، غير أنه يتحدث عن إسرائيل كأنها صاحبة الحق، وأن

1 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 100-104

الصواب معها. بل إن من حقها الدفاع عن وجودها وترابها وثقافتها.

- يشير إلى إرهاب الحركات الإسلامية الذي يستهدف إسرائيل، غير أنه يتغافل الإرهاب الإسرائيلي الذي يعتبره نوعا من الدفاع عن النفس ومواجهة الأعداء.

وسعيا لاستيعاب أبعاد الصراع الإسرائيلي الفلسطيني أكثر، يتطرق إلى أهم المواقف التي تحضر بقوة داخل هذا الصراع، وهي حسب تقديره أربعة مواقف:[1]

موقف اليهود المتشددين: وينطوي على أن تأسيس دولة إسرائيل حقيقة تاريخية ومعنوية، فبعدما تشرد اليهود خلال قرون طويلة عبر العالم، وعانوا ويلات التهميش والإقصاء والمحارق، حان الوقت الآن لأن يعودوا إلى أرضهم الأصلية، ولهم كامل الحق في ذلك. ما أدى إلى تأسيس الكيان الإسرائيلي في 15 مايو 1948، لتتم العودة بعد 2000 سنة من الشتات إلى وطنهم الأصل.

موقف اليهود المعتدلين: وهم يرون أن قيام دولة إسرائيل يشكل مصدر بهجة وسرور، وأنها معجزة إلهية، غير أنه لم تراع حقوق الفلسطينيين والعرب الذين كانوا يستقرون في هذه الأرض أثناء عودة اليهود إليها، بل تم تهجيرهم بالقوة والعنف من مساكنهم وقراهم، وتخريب

1 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 104-108

بيوتهم، وتعذيبهم من طرف الجنود الصهاينة. لذلك فإنها بهذا الصنيع تعتبر إسرائيل أمة إرهابية في عيون الفلسطينيين.

موقف الفلسطينيين المتشددين: وهم يعتقدون أن فلسطين وطن أصلي للفلسطينيين والعرب منذ قرون طويلة، وأن الصهاينة استولوا عليها بالقوة والسلب. عقب الانسحاب البريطاني من فلسطين تم تسليمها للصهاينة. لذلك من الواجب على الفلسطينيين الجهاد حتى استرداد أرضهم المغصوبة، وتنقيتها من رجس اليهود، ولن يتوقف الجهاد حتى ينسحب كل الصهاينة منها.

موقف الفلسطينيين المعتدلين: وهم يذهبون إلى أنه عندما هاجر اليهود إلى فلسطين، كان يعيش فيها الفلسطينيون الذين لهم الحق في إقامة دولتهم المستقلة، وهو الطريق الأنسب للاعتراف بالكيان الإسرائيلي، وعدم كراهية اليهود ومعاداتهم، ومن ثم التنازل عن فكرة تنحية إسرائيل من الخريطة.

ربما قد يتساءل القارىء عن جدوى الحديث عن القضية الفلسطينية، ونحن بصدد مراجعة صورة الإسلام في الفكر الغربي المعاصر. في الحقيقة، رغم أن فلسطين توجد خارج جغرافيا الغرب، إلا أنها تحضر دوما في المخيال والواقع الغربي، حيث صارت القضية الفلسطينية بمثابة الموجه الجوهري لعلاقة الغرب بالإسلام. ولعل هذا ما غاب عن

المفكر بفيرلي الذي تناول جملة من القضايا الإسلامية مفصولة عن بعضها البعض، رغم أنها تتداخل بشكل عميق فيما بينها. وقد انتبه اللاهوتي هانس كونغ لأهمية القضية الفلسطينية في السياق العالمي الجديد عندما استنكر صمت الغرب، وهو يردد: أنه لا يمكن السكوت عما تفعله إسرائيل في القضية الفلسطينية.[1]

خلاصة

إن مراجعتنا لمؤلف المفكر الكاثوليكي الأمريكي جيمس أ. بفيرلي تندرج في إطار تقريب الصورة التي ينسجها الفكر الغربي المعاصر حول الإسلام، وتشكل إسهامات بفيرلي رافدا مهما في هذا الصدد رغم أنه مغمور على المستوى العربي والإسلامي. إن كتاب **دليل حول الإسلام**، يسعى إلى صياغة رؤية إجمالية حول حقيقة الإسلام وأهم مكوناته العقدية والتاريخية والاجتماعية، وهي رؤية ذات مرميين؛ أحدهما تقديم صورة مركزة وشبه موضوعية حول الإسلام للغرب غير المسلم الذي يجهل حقيقة هذا الدين التاريخية والواقعية. وهذا ما وعد به القاريء منذ البداية في مقدمة الكتاب. والمرمى الآخر هو محاولة استيعاب مختلف الإشكاليات التي يطرحها الإسلام في العالم المعاصر. ترى إلى أي حد أفلح المؤلف في مقاربته للإسلام؟ لعل بفيرلي ساهم

1 Beverley, A. J. (2002). Wegwijzer over islam. p. 108

من ناحية في التعريف بحقيقة الإسلام للغرب غير المسلم، بشكل يقرب القاريء غير الخبير من الإطار العام للإسلام: عقيدة وثقافة. غير أنه من ناحية ثانية لم يتمكن المؤلف من التخلص من أحكام القيمة المترسبة في لا وعيه، وذلك لأنه يضع جميع المسلمين في سلة واحدة دون التمييز بين المتشدد والمعتدل. ثم إنه يركز على "الإرهاب الإسلامي" دون ربط أسبابه بالتدخلات الأمريكية والغربية الجائرة والاستقواء الصهيوني المدعوم إعلاميا واستراتيجيا وعسكريا.

الفصل الثالث:

الإسلام بين الغرب الإيديولوجي والغرب الحضاري

حوار حول الإسلام والغرب

تهدف هذه المراجعة إلى تقريب كتاب **الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل**، الذي يندرج في إطار الأعمال الفكرية التي تشتغل بعلاقة الإسلام والغرب. صدر هذا المؤلف ضمن سلسلة (حوارات لقرن جديد) التي تنظمها دار الفكر بدمشق في سوريا، وهو مشروع "فكري حواري يتيح التبادل النقدي على عدة مستويات كمحاولة جادة ورصينة وهادئة لقراءة العلاقة بين الإسلام والغرب!"[1] وقد شارك في هذا الكتاب باحثان عرفا باهتمامهما بمختلف قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، بما فيها ثنائية الإسلام والغرب. الباحث الأول هو تركي علي الربيعو من أصل سوري، صدرت له مجموعة من الأعمال منها: الإسلام وملحمة الخلق والأسطورة، أزمة الخطاب التقدمي العربي، وخيارات المثقف. أما الباحث الثاني فهو زكي الميلاد من أصل سعودي، صدرت له جملة

1 الربيعو، تركي علي، الميلاد، زكي. (2001). الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل. دمشق: دار الفكر العربي المعاصر.

من الكتب منها: الفكر الإسلامي بين التأصيل والتجديد، المسألة الحضارية: كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير، ومحنة المثقف الديني مع العصر.

ويعتبر هذا العمل المشترك فاتحة صداقة فكرية متميزة بين الباحثين. يروي الميلاد جوانب من هذه الصداقة من خلال مقالة خص بها رحيل صديقه تركي علي الربيعو الذي وافته المنية في يناير 2007، وقد عنونها بـ: مع رحيل الصديق تركي على الربيعو، وجاء فيها: "بدأت معرفتي بالصديق الفقيد الأستاذ تركي علي الربيعو، حين جمعتنا دار الفكر للنشر بدمشق للمساهمة في إنجاز كتاب ثنائي العمل، حول موضوع الإسلام والغرب، في إطار مشروع ثقافي جديد أعلنت عنه دار الفكر عام 1997م، بعنوان: (حوارات لقرن جديد). ويرتكز هذا المشروع على فكرة الحوار النقدي بين شخصين حول موضوع مشترك، من الموضوعات الحيوية والمعاصرة، التي يكثر فيها الجدل، وتتعدد فيها وتتباين المواقف واتجاهات النظر".[1]

وقد تم تقسيم الكتاب إلى محورين، خُصص أحدهما لبحث الربيعو المعنون بـ: الخواف من الإسلام في موقف الغرب من الإسلام، وعُقد المحور الآخر لبحث الميلاد الموسوم

1الميلاد، زكي. مع رحيل الصديق تركي على الربيعو (2-1). جريدة عكاظ (السعودية)، الثلاثاء 16 يناير 2007.

بـ: الإسلام والغرب – هل من منظور معرفي جديد لعلاقات مستقبلية جديدة؟ ويبدو كل محور بمثابة كتاب أو كتيب مستقل بذاته. وقد ألحق بهذين المحورين تعقيب لكل باحث على ما طرحه صاحبه في الشق الخاص به.[1]

الخوف من الإسلام في موقف الغرب من الإسلام

إن بحث الربيعو، على أهميته الفكرية والنقدية، هو عبارة عن مزيج من القراءات، التي خص بها وجهات نظر بعض المفكرين العرب الذين اشتغلوا بقضايا الإسلام والغرب. وقد مهد لذلك بمقدمة ركز فيها على النزعة الاستعلائية للغرب في علاقته، ليس بالإسلام فقط، بل بغيره من الشعوب والثقافات أيضا. ويعضد تناوله بشواهد وتفسيرات من الفكر الغربي نفسه، حيث يتساءل الناقد الأدبي تزفيتان تودوروف وهو يقصد الغرب: "لماذا يقود فهمنا للآخر إلى الاستيلاء عليه، والاستيلاء إلى التدمير، التدمير الذي لا يصبح ممكنا إلا بفضل ذلك الفهم على وجه التحديد".[2] أما تشومسكي فـ "هو الآخر لا يمل الحفر في تاريخ الثقافة الغربية المعاصرة على نهج التاريخ، لذلك فهو يسوق

1بالإضافة إلى ذلك، يتضمن الكتاب مقدمة قصيرة وفهرس عام ومعجم لأهم المصطلحات الفكرية موزعة على أكثر من 208 صفحة. صدرت طبعته الأولى عام 1998، أما طبعته الثانية المعتمدة في هذه المراجعة فقد ظهرت عام 2001.

2الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 13

لنا آلاف الوثائق التي تؤكد على أن الغزو ما زال مستمرا"[1]، إذ كان الأوروبيون، كما ورد في كتاب تشومسكي **الغزو مستمر**، "يحاربون بهدف القتل، وكان لديهم من الوسائل ما مكنهم من إرضاء شهوة الدم عندهم". وهكذا فإن الطريقة التي تؤسس لحكم (العرق السيد في العالم) خطها أوائل الفاتحين النهابين، وما زالت أنموذجا يحتذي به أسياد النظام العالمي الجديد.[2] في حين يذهب كافين رالي في كتابه **الغرب والعالم** إلى "أن العنف يمثل بنية أساسية في الثقافة الغربية وأنه ومن بين كل الحضارات لا توجد حضارة تمادت في طريق العنصرية والعنف مثل الحضارة الغربية".[3]

بعد هذا التمهيد، يمضي الربيعو إلى معالجة رؤى بعض المفكرين العرب المعاصرين، الذين عرفوا باهتمامهم بعلاقة الإسلام بالغرب، ولم يبين الباحث المعايير التي اعتمدها في انتقائه للنماذج التي اشتغل بها دون غيرها وهي كثيرة. ومع ذلك، فإن الأهم في تناوله أنه تمكن من النفاذ إلى جوهر هذه الرؤى، واستكشاف منطلقاتها، واستجلاء آلياتها، واستيعاب أبعادها الفكرية والإيديولوجية والذاتية، إذ تختلف كل رؤية عن الأخرى، رغم أنها كلها تشترك في تناول

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 14

2الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 15

3الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 16

نفس المسألة، وهي ثنائية الإسلام والغرب. ويتعلق الأمر بأربعة أعمال فكرية. أولها كتاب **أوروبا والإسلام: صدام الثقافة والحداثة** لهشام جعيط، وثانيها **مسألة الهوية: العروبة والإسلام... والغرب** لمحمد عابد الجابري، وثالثها **الإسلام، أوروبا، الغرب: رهانات المعنى وإرادات الهيمنة** لمحمد أركون، وآخرها **الاستشراق** لإدوارد سعيد.[1]

أوروبا والإسلام: صدام الثقافة والحداثة

لا يمكن استيعاب تناول هشام جعيط لثنائية الإسلام والغرب من خلال كتابه: **أوروبا والإسلام: صدام الثقافة والحداثة**، إلا باستيعاب أهم منطلق يؤسس عليه الباحث رؤيته، وهو بمثابة البؤرة التي تتفرع عنها مختلف أفكار ومعاني وتصورات مقاربته. ومفاد هذا المنطلق هو أن علاقة الإسلام والغرب في العصر الحديث محكومة بالخوف من الإسلام، وهو ما يطلق عليه ظاهرة الإسلاموفوبيا التي تمتد جذورها التاريخية إلى القرون الوسطى حيث نشبت أشرس مواجهة حربية بين المسلمين والنصارى، وهو ما يعرف بالحروب الصليبية التي أشعل فتيلها البابا أوربان الثاني في نوفمبر 1095، لتستمر إلى آخر حملة صليبية ضد الإمبراطورية العثمانية في 1444. يقول الربيعو: "في بحثه عن

1تناولت هذه المؤلفات؛ مراجعة واقتباسا في مشاريع فكرية خاصة بعلاقة الإسلام بالغرب وفلسفة التعددية وحوار الأديان والثقافات.

ظاهرة الخوف من الإسلام، يؤثر جعيط العودة إلى التاريخ القريب والبعيد عله يكتشف السر، فهو يركز أولا على الأحكام القروسطية. فمن هذه التجربة الأصلية للعداء الغربي للعرب سيستمد الوعي الغربي القروسطي الأسس الانفعالية لتمثله الإسلام، التمثل المجبول بالعداوة".[1]

ورغم مرور ستة قرون على آخر حملة صليبية، فإن الوعي الغربي المعاصر يظل مسكونا بذلك المعطى التاريخي، "على طول العصر الحديث جسدت المسيحية وبكل قوتها في الغرب، الاتجاه المعادي للإسلام وذلك على الرغم من تحرر الفكرة العلمانية من الضغط المسيحي على التأمل العقلاني والذي كان من شأنه أن يقدم إسهاما إيجابيا يرى في الدين الإسلامي جزءا متمما من التاريخ الإنساني".[2]

وقد تأمل هشام جعيط مختلف آراء المفكرين الغربيين بخصوص علاقة الإسلام بالغرب، فأدرك أنها لا تخرج على دائرة علم الاستشراق المحشو بالنظرة الإمبريالية المجبولة على سرقة الآخر واضطهاده واستعماره. فإذا كان المؤرخ الاستشراقي رينان يختزل الإسلام في أنه عالم فاسد بحد ذاته، فإن الإتنولوجي المشهور كلود ليفي ستراوش يجعل من الإسلام بنية للعداء والعنف والاستعباد. وهكذا "يتوحد

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 24

2الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 25

المستشرق بالإتنولوجي في نظرتهما إلى الإسلام. ويستعير الإثنان بواعث التعبير عن نظرتيهما من سيكولوجيا جماعية وقروسطية بقيت بمثابة الأساس الصلب للنظرة المؤدلجة للإسلام، وظلت تغذي عند الجميع حالة من الخواف غير المبرر"، على تعبير الربيعو.[1] لكن ألا يتسم هذا الحكم بالتعميم ما دام أن هناك مفكرين وباحثين غربيين يعترفون بفضل الحضارة الإسلامية على الغرب؟ ثم ألا ينبغي حصر هذا الحكم في سياق تاريخي معين وقصره على شريحة فكرية معينة تحسب على الغرب الإيديولوجي والسياسي؟

مسألة الهوية: العروبة والإسلام... والغرب

الأنموذج الثاني الذي اشتغل به الربيعو هو كتاب مسألة **الهوية: العروبة والإسلام... والغرب**، لمحمد عابد الجابري الذي يعتقد أن الامتداد الإسلامي المعاصر في عقر دار الغرب، بات يبث الهواجس والمخاوف في نفوس الكثير من الغربيين، وقد ساهمت وسائط الإعلام كما السياسيون بقسط وافر، في زرع وعي مغلوط حول أن الإسلام يشكل خطرا على الحضارة الغربية. ويرى الربيعو أن "الجابري لا يمل من التأكيد على أن الغرب يشن حربا حضارية باردة على الإسلام، فثمة خواف من الإسلام غير مبرر، حيث يجري تصوير الإسلام على أنه الخطر الأخضر والذي حل محل

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 29

الخطر الأحمر بعد غياب الاتحاد السوفياتي ومجموع ما كان يسمى بالدول الاشتراكية".[1]

في حقيقة الأمر، إن هذا التفسير ليس جديدا، قد يدركه أي مطلع على تصريحات وبرامج أحزاب اليمين المتطرف وعرابيه، غير أن الجديد في رؤية الجابري هي إشارته إلى أن هذا الخوف من الإسلام غير مبرر. وهذا كلام صحيح، لكنه لن يقتنع به الإنسان الغربي العادي الذي يعيش تحت تأثير وسائل الإعلام المؤدلجة، التي لا تقدم إلا ذلك الوجه الدموي العنيف من الإسلام، وهو وجه لا يعكس حقيقة الإسلام، بقدر ما يعكس مواقف أشخاص أو تيارات لا حيز لها في الإسلام الوسطي المعتدل. ولا يخفى هذا التوجه المسيس على أحد، لاسيما في هذا النمط من الإعلام الذي لا يتعامل مع الإسلام إلا كـ "كلّ يتصف بالجمود والانغلاق والتخلف".[2]

ويدعم الجابري طرحه بتفسيرين نشرتهما الواشنطن بوست عام 1992. جاء في التفسير الأول "أن الإسلام مناسب لملء دور الشرير بعد زوال الحرب الباردة، فهو ضخم ومخيف وضد الغرب ويتغذى على الفقر والسخط، كما أنه ينتشر في بقاع عديدة من العالم، لذلك يمكن إظهار خرائط

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 31

2الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 32

العالم الإسلامي على شاشة التلفزيون باللون الأخضر كما كان العالم الشيوعي يظهر باللون الأحمر".[1] أما التفسير الثاني فيعتبر "أن الأصولية الإسلامية هي حركة ثورية عدائية يماثل عنفها وتشددها الحركات البلشفية والفاشية والنازية في الماضي، وهي حركة استبدادية وضد الديمقراطية وضد العلمانية، لذلك لا يمكن استيعابها في العالم المسيحي العلماني، وبما أن هدفها إنشاء الدولة الإسلامية المستبدة فلا بد من أن تقوم الولايات المتحدة بوأدها عند الولادة".[2]

بناء على هذا، يخلص الجابري إلى أن الإسلام غير مقبول في الغرب، فهو منفي ومستبعد، حيث يتم الخلط في بوتقة واحدة بين العربي الذي يشكل تهديدا اقتصاديا بقطع النفط، وبين المهاجر الذي يشكل تهديدا ديموغرافيا، وبين الإسلامي الذي يختزل في لفظة الإرهاب باعتبارها التهديد الأكبر لمصالح الغرب. غير أن هذه الخلاصة تظل نسبية، لأن الغرب مثل الإسلام أيضا ليس كلاً يتصف بالخوف والكراهية والمواجهة. وقد لاحظ ذلك الربيعو الذي أنهى حديثه عن الجابري بعبارته: "من يقرأ الجابري يجد أن فكره

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 32، 33

2الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 33

مضمر بالمواجهة مع الغرب وعلى جميع الأصعدة الفكرية والإيديولوجية والإعلامية".[1]

الإسلام، أوروبا، الغرب: رهانات المعنى وإرادات الهيمنة

الأنموذج الثالث الذي حظي بقراءة الربيعو هو كتاب المفكر محمد أركون، الذي يحمل عنوان **الإسلام، أوروبا، الغرب: رهانات المعنى وإرادات الهيمنة**. ويعتبر استيعاب المصطلحات الثلاثة: الإسلام، أوروبا والغرب، بمثابة العتبة لفهم وجهة نظر أركون، الذي يذهب إلى أنه هذه المصطلحات "تعرضت لأدلجة مهووسة ومبالغ فيها، وأن ثمة صورة سميكة تغلف الخطاب الإعلامي والاستشراقي والسياسي في الغرب، وتدفع إلى مزيد من الهوس والإيديولوجيا والنظرة البدائية والاختزالية للإسلام بآن".[2]

وهذا يعني أن أركون يرفض رفضا باتا الخطاب الاختزالي لوسائل الإعلام الغربية ضد الإسلام والمسلمين، لذلك يسعى إلى أن يكون وسيطا بين هاتين البنيتين التاريخيتين والثقافيتين، أي بين الغرب والإسلام. غير أنه إذا كان أركون يرى نفسه مؤهلا لأداء هذا الدور في الغرب، فهل فكر في مدى استجابة الطرف الإسلامي لذلك، لاسيما وأن قراءته للتراث

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 37

2الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 37، 38

الإسلامي مرفوضة في الكثير من الأوساط الدينية والثقافية والإعلامية الإسلامية. ثم إن المصطلحات الثلاثة المشار إليها أعلاه، ليست وحدها التي تعرضت للأدلجة، إذ هناك مصطلحات أخرى تمت بصلة وطيدة إلى علاقة الإسلام بالغرب تعرضت بدورها للأدلجة، مثل: العرب، الشرق، الأجانب، المهاجرون، الاندماج، وغيرها.

إن أركون يلتقي مع الطرحين السابقين، لكل من جعيط والجابري في أن الإعلاميين والسياسيين الغربيين، "يضخمون الإسلام حتى ليكاد يصبح غولا مرعبا أو وحشا إيديولوجيا".[1] وقد توقف الربيعو عند أهم التساؤلات التي يطرحها أركون في كتابه، وأغلبها ذو طابع إشكالي. ونكتفي هنا بالتساؤل الآتي الذي يقول فيه: إلى أي مدى نظل تحت رحمة التصور الإيديولوجي السائد الذي يحكم علاقة الشرق بالغرب؟

إن استمرار مثل هذا التصور الإيديولوجي مترتب عن تضافر مجموعة من العوامل التاريخية والسياسية والثقافية والدينية. أشار أركون إلى بعضها وأغفل البعض الآخر، وقد ترتب عن هذا التصور فهم منحرف لدى الغرب، يربط الإسلام دوما بالعنف وعدائه للديمقراطية ورفضه لليهود، وهي كلها أحكام جاهزة، "تؤكد غياب الأنتلجنسيا الغربية عن فهم الآخر/المسلم وعن عجزها عن الحوار معه، وعن أن

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 41

الحقيقة في شمال حوض المتوسط غير الحقيقة في جنوبه. إنها إرادة الهيمنة التي تلغي الحوار وتطلب من الآخر الانكفاء على نفسه".[1]

الاستشراق

يختتم الربيعو بحثه بكتاب **الاستشراق** لإدوارد سعيد، الذي ألفه بين عامي 1975 و1976. وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبيرة في الغرب عامة وأمريكا خاصة، سواء على المستوى الإعلامي أو السياسي أو الأكاديمي، في حين أنه لم يلق ما يستحقه من الاهتمام على المستوى العربي. ومرد ذلك إلى سيادة النزعة الاستشراقية في صفوف التقدميين العرب، على حد تعبير الجابري.[2] وتُفسر الضجة الكبيرة التي أحدثها الكتاب بأنه يتناول علاقة الغرب بالشرق والإسلام بأسلوب جديد ينبني على النقد الموضوعي المسنود بالحجج العلمية والتاريخية للكيفية التي يُغطّى بها الإسلام، ليس من طرف وسائل الإعلام فقط، بل من طرف الخبراء الأكاديميين والاستراتيجيين والجغراسيين والمفكرين أيضا، حيث قامت تلك التغطية الاستشراقية بعرض الإسلام/الشرق، "وبسطه

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 43

2الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 20

وتصويره، وتحديد خصائصه، وتحليله وتوفير مساقات فورية حوله. ولكن هذه التغطية، زاخرة بالمغالطات".[1]

وفيما يتعلق بوسائل الإعلام الغربية، ومدى تحكمها في تشكيل وعي الآخرين وفهمهم للإسلام، فإن إدوارد سعيد يعتقد أنها تجمع على إيجاد أو خلق كبش فداء أو ضحية ما، وفي هذه الحالة فالإسلام هو ذلك الكبش لكل ما لا يروق للغربيين من أنماط سياسية واجتماعية واقتصادية جديدة في العالم، فالإسلام يمثل لليمين الهمجية، ولليسار الثيوقراطية في العصر الوسيط، أما بالنسبة للوسط فإنه يمثل نوعا من الغرائبية الممجوجة.[2] غير أنه هل ما يزال هذا الإجماع مستمرا، لاسيما وأننا في زمن ما انفكت تتغير فيه نظرة العديد من المثقفين الغربيين إلى الإسلام، عندما اكتشفوا أن الأدبيات السياسية والإعلامية التقليدية حوله محشوة بالكثير من المغالطات والمزايدات.

إن إدوارد سعيد يطرح معادلة جديدة في قراءته لإشكالية الإسلام والغرب، فهي تلتقي مع ما مضى من النماذج في التركيز على التعاطي الإيديولوجي للغرب مع الإسلام، غير أنها تختلف معها، بشكل أو بآخر، في عناصر أخرى، فهو لا يولي أهمية كبيرة للعامل التاريخي المحدد بالحروب الصليبية، كما

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 45

2الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 44

أنه يميز بين الغرب والمسيحية، فالصراع قائم بين الإسلام والغرب، لا بين الإسلام والمسيحية. يقول الربيعو: "إن سعيد في قراءته لإشكالية الإسلام والغرب، يوجه اهتمامه إلى نظام الاستشراق وارتباطه بالقوة وإلى أجهزة الإعلام وارتباطها بالهيمنة والغزو. إنه لا يلتفت إلى الحروب الصليبية والتي يكثر الحديث عنها هذه الأيام. إنه يركز على الغرب. فالغرب من وجهة نظره، لا المسيحية، هو الذي بقي دائما في موقع التنافس والعداء مع الإسلام. فالغرب ظل يرقب باستمرار قوة الإسلام والمؤهلة لإزعاجه المرة تلو المرة".[1]

خلاصة

نخلص من خلال هذه المراجعة إلى إن بحث الربيعو هو بمثابة قراءة في بعض الكتب والرؤى التي اهتمت بثنائية الإسلام والغرب، محاولا تفكيك مواقف مفكرين عرب (جعيط، أركون، الجابري، إدوارد سعيد) يجمعون على أن ثمة فجوة عميقة بين الإسلام والغرب تتسع يوما بعد يوم، غير أنه لا يطرح البدائل الممكنة لردم هذه الفجوة، بقدر ما ينهي حديثه بالتساؤل عما إذا كانت هناك إمكانية للحوار بين الإسلام والغرب. ثم إن أهم هاجس يحكم هذه المقاربات الفكرية هو التعامل الإيديولوجي للغرب مع الإسلام، كأن ليس هناك في الغرب مثقفون ومفكرون وكتاب ومواطنون

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 48

يتعاملون بشكل موضوعي وطبيعي مع الإسلام، وهذا ما سوف يلتفت إليه الباحث زكي الميلاد في المحور الموالي من الكتاب، فهو يدعو المسلمين إلى التعامل الإيجابي مع الحضارة الغربية، التي لا يمكن اختزال علاقتها بالإسلام فيما هو صراعي وعدائي فقط. ويسوق عشرات الشواهد التي تثبت أنه إلى جانب النظرة الإيديولوجية إلى الإسلام، تسود في الغرب أيضا نظرة حضارية تعترف بخصوصية الإسلام وإسهامه التاريخي والإنساني. فضلا عن ذلك، فإن تناول الربيعو يركز كثيرا على علاقة الإسلام بالغرب، إما في بعدها الماضوي الذي يتحدد في الحروب الصليبية التي أثرت سلبا على طبيعة هذه العلاقة، ثم تلتها مختلف المواجهات والحروب والاستعمارات، وإما في بعدها المعاصر حيث تتخذ هذه العلاقة أبعادا سلبية أو إيجابية متنوعة، وتتقاطع في مواطن مختلفة. في حين يظل البعد المستقبلي مغيبا في هذا البحث، ولا يحضر إلا على مستوى الأسئلة المعلقة التي لم تحظ بالتفسير الكافي، ما يحيد عن هدف العنوان الرئيس للكتاب، الذي يعد القارئ بتناول علاقة الإسلام والغرب في الحاضر وفي المستقبل!

الإسلام والغرب، هل من منظور معرفي جديد لعلاقات مستقبلية إيجابية؟

إن بحث زكي الميلاد الموسوم بـ: **الإسلام والغرب، هل من منظور معرفي جديد لعلاقات مستقبلية إيجابية؟** يلتقي

مع البحث السابق لتركي الربيعو في الموضوع المدروس المتعلق بثنائية الإسلام والغرب، غير أنه يختلف عنه في جوانب كثيرة، نتريث عند أهمها من خلال العناصر الآتية:

- إذا كانت مقاربة الربيعو مركبة من قراءات لنماذج أربعة من الفكر العربي المعاصر اشتغلت بعلاقة الإسلام والغرب، فإن بحث الميلاد ينطلق من رؤية الباحث نفسه لثنائية الإسلام والغرب بهدف طرح منظور خاص به يجتهد من خلاله في قراءة هذه العلاقة.
- إن قراءة الميلاد لهذه العلاقة تتأسس على النقد الذاتي، ثم نقد الآخر. لكن النقد الذاتي الذي يوجهه لمواقف المسلمين الانفعالية من الغرب يظهر هنا هو الأهم، لأن تلك المواقف غالبا ما تنظر إلى ما هو غربي من زاوية ضيقة؛ من زاوية العداء والصراع والماضي المظلم. وبعبارة أوضح، فهي تتعامل مع الغرب الإيديولوجي، الذي ركز عليه الربيعو في مقاربته، في حين تقصي الغرب الحضاري والإنساني، الذي يمكن أن يتعلم منه المسلمون الكثير، وهذا ما يشدد عليه الميلاد في دراسته لعلاقة الإسلام بالغرب.
- وإذا كان الربيعو لا يتعدى إثارة مجموعة من الأسئلة الإشكالية، دون إيجاد تفسيرات واقعية وبدائل ممكنة لها، حتى لدى المفكرين الذين اشتغل بأعمالهم، فإن الميلاد يقدم تشخيصا عقلانيا لراهن علاقة الإسلام

بالغرب، وهو يبحث عن الصيغة الأنسب لهذه العلاقة، وهي صيغة لا تنبع إلا من طبيعة فهمنا للآخر، إذ كلما كان الفهم صحيحا وواقعيا، تمكنت الذات من استيعاب حقيقة الآخر؛ كيف ينظر إلينا؟ ماذا يريد منا؟ وكيف ينبغي التعامل معه؟

- ثم إذا كان البعد المستقبلي لعلاقة الإسلام بالغرب مغيبا في تناول الربيعو، فإنه يحضر بشكل لافت في مقاربة الميلاد، الذي يدعو إلى الانفتاح على المستقبل برؤية إيجابية.

الخيار الإسلامي

يمهد الميلاد بحثه بتحديد مفاهيم بعض المصطلحات التي سوف يستأنس بها في قراءته لعلاقة الإسلام بالغرب، وهو يبحث لها عن أصل أو معادل في المعرفة الإسلامية، ونتوقف في هذا الصدد عند مصطلحي فلسفة التاريخ والحداثة.

فلسفة التاريخ: وهو علم ذو قيمة عظيمة "جاء لكي يطور من نظرة الإنسان إلى التاريخ بحيث ينتقل من حال إلى حال، ومن زمن إلى زمن آخر، لا أن يصبح واقفا وجامدا أمام الأحداث والوقائع، ولا يستطيع أن يتخطاها إلى بناء جديد، ويربط التاريخ بالحاضر والمستقبل، لا بالماضي والانغلاق عليه".[1] وقد لاحظ الميلاد أن القرآن الكريم

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 55

يرشدنا إلى هذه الحقيقة، ويعضد ملاحظته بقوله سبحانه وتعالى: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.[1]

الحداثة: يرى الميلاد أن "الحداثة ليست مفهوما إيديولوجيا غربيا، وإنما هي مفهوم إنساني عام يرتبط بعلاقة كل أمة بالزمن والعصر الذي تعيشه، ومدى ما حققته من تقدم وتطور يتناسب وحركة الزمن والعصر كما هو في وعيها".[2] لكن الغرب يتعامل بشكل مزدوج ومتعارض مع مفهوم الحداثة، فهي "تعني في فهمه القطيعة مع الماضي، وأن التراث لا يمثل مرجعية معرفية في حاضره في قراءة الأفكار والمواقف والمناهج والنظم والأحداث، إلا أنه في علاقته بالإسلام لا زال مسكونا بالماضي إلى حد كبير".[3]

بعد ذلك، يمضي الميلاد لتوصيف حالة الإنسان والعالم في العصر الحديث، وهي حالة تنطوي على أزمة شاملة وعميقة تعتري مختلف بنى الحياة وأنساقها. وقد تفرخت عن هذه الأزمة أزمات شتى، تمس النفس والمجتمع والاقتصاد والسياسة والثقافة، ما جعل الإنسان عبر العالم يدرك بعمق "ضرورة الإصلاح والتغيير في البنية العالمية، فقد

1البقرة: 134/2

2الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 55، 56

3الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 56، 57

تعالت الأصوات التي تطالب بهذا الإصلاح، وكأننا أمام صحوة عالمية متنامية في دول الشمال والجنوب، تتلمس ثقل الاختناق الذي يطوق العالم".[1] ومن شأن الإسلام أن يسهم من موقعه أيضا في هذه الحركة الإصلاحية الكونية، لاسيما وأنه يملك إمكانات اجتماعية وأخلاقية وروحية مختلفة قد تنقذ الإنسان المعاصر من تفسخه الاجتماعي وانحلاله الأخلاقي وضياعه الروحي.

وهذا يدل "على أن العالم أخذ يقف على أزماته الحضارية التي تضيق بالمجتمع الإنساني وتدمر الإنسان والبيئة، والتفكير عن مخرج لهذه الأزمات الحضارية، لا بد أن يكون نابعا من رؤية حضارية إنسانية عالمية، وهذه المرة وفي هذا الظرف لا بد أن يكون الإسلام شريكا في هذا التفكير الحضاري لأزمات العالم الكبرى". وهكذا يمكن للإسلام اليوم أن "يفرض نفسه كأحد الخيارات الحضارية الكبرى في هذا العالم في مواجهة الأزمات الحضارية".[2]

لكن هل للإنسان الغربي اليوم القابلية لتصديق مثل هذا الكلام المعسول، ليس لأن الإسلام غير مؤهل للمساهمة في الحركة الإصلاحية العالمية، بل لأن الظرف التاريخي الحالي غير موات لذلك أمام تصاعد رفض ما هو إسلامي من قبل

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 63

2الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 65

شريحة غربية مهمة، تتحكم فيها الآلة الإعلامية المؤدلجة والتيارات السياسية القومية والمتطرفة. لذلك حقيق بنا أن نتساءل عن الكيفية الناجعة التي يمكن للإسلام أن يشارك بها في مواجهة الأزمات الحضارية التي يتخبط فيها العالم؟ ثم هل يفرض الإسلام حقا نفسه كأحد الخيارات الحضارية الكبرى في العالم أم أن هذا مجرد كلام إنشائي واستهلاكي؟

بين الغرب السياسي والغرب الحضاري

تطرق الميلاد في مقاربته إلى آراء ومبادرات ومواقف مهمة تحفز على التعامل الحضاري الإيجابي مع الإسلام، وأهمها مواقف السفير الألماني بالمغرب فيلفرد مراد هوفمان الذي يفضح الحملات العدائية الغربية ضد الإسلام، والمستشرقة الألمانية آني ماري شميل التي ترفض مساواة الإسلام بالتطرف والإرهاب، والأمير تشارلز الذي دعا إلى المصالحة بين الإسلام والغرب، والرئيس الألماني رومان هرتزوغ الذي يرى ضرورة الحوار مع الإسلام لتجاوز الخوف وعدم الثقة، والمفكر السويدي أنغمار كارلسون الذي يطرح في كتابه **الإسلام وأوروبا تعايش أم مجابهة**[1] رؤية إيجابية، يدعو من خلالها إلى تفهم الإسلام والحوار مع المسلمين، وغيرها من المواقف والمبادرات.

1 راجعنا رؤية انغمار كارلسون التي تضمنها هذا الكتاب واعتمدناها في مشروع فكري آخر مستقل.

إن مثل هذه المبادرات الإيجابية التي تحث على إنعاش علاقة الغرب مع الإسلام تندرج في خطاب الغرب الحضاري، وقد سبق لي أن ميزت، في حوار أجرته معي جريدة الوقت البحرينية، بين الغرب الإيديولوجي والغرب الحضاري والإنساني،[1] بقولي: "وحتى تتضّح الصّورة أكثر، فيلزمنا أن نفرّق بين نوعين من الغرب؛ أولهما ما نطلق عليه الغرب الإيديولوجي، الذي يوحي بمفاهيم الاستعمار والهيمنة والاستعلاء والقوة وغير ذلك، وعلى هذا الصعيد يمكن الحديث عن العلاقة (الأكثر من دموية)، وهي محكومة بالمناخ الدّولي العام، وهذا لا ينفي وجود غرب آخر، يمكن نعته بالغرب الحضاري والإنساني، الذي يقدّم للإنسان شتى القيم الإيجابية والإنجازات المفيدة ونحو ذلك، وهو ذلك الغرب الذي هيّأ ملاذاً دافئاً لملايين المسلمين والأجانب، في الوقت الذي أقفلت الدول الإسلامية الغنية أبوابها في وجوههم!"[2]

---

1 بعد قراءة هذا الكتاب اكتشفت أن زكي الميلاد يعتمد هذا التقسيم الثنائي أيضا، عندما ميز بين الغرب السياسي والغرب الحضاري الذي يربطه بالعلم دون غيره من الجوانب، في حين أنني أفضل استعمال مصطلح الإيديولوجي عوض السياسي، وأوسع من دائرة الغرب الثاني ليعم الحضاري والإنساني من علوم وتكنولوجيا وسلوك وتواصل وغيرها. جريدة الوقت (البحرينية)، الجمعة 7 جمادى الثانية 2/1428 يونيو 2007، ع. 487 في حوار أجراه معي الصحافي نادر المتروك.

2 المصدر السابق نفسه.

رغم أن تلك المواقف والمبادرات ذات أهمية إيجابية قصوى بالنسبة لعلاقة الإسلام بالغرب، إلا أنها غير كافية لتصحيح التصور الغربي المغلوط حول الإسلام، ليس لدى المواطنين العاديين فقط، بل لدى النخب الثقافية والإعلامية والسياسية أيضا. لعل مرد ذلك إلى أن دائرة خطاب الغرب الحضاري والإنساني جد ضيقة، لا تتجاوز بعض الأوساط الفكرية والأكاديمية، ما يجعلها قصرا على النخبة دون ما هو شعبي تتحكم فيه وسائل الإعلام المسيسة، التي ترسخ خطاب الغرب الإيديولوجي من خلال ترويج أطروحاته الرافضة والمعادية.

ويلخص الميلاد تجليات خطاب الغرب الإيديولوجي في العناصر الثلاثة الآتية:

الحروب الصليبية: فالغرب بدل استعادة ذاكرة المكتسبات الكبيرة التي أخذها عن الحضارة الإسلامية، فإنه يعيد إنتاج ذاكرة الحروب الصليبية لأجياله.[1]

الدراسات الاستشراقية: إن الرؤية الرافضة والصدامية للغرب في الخطابات الإسلامية الحديثة ساهم بها الغرب نفسه، الذي كان يتقدم للعالم الإسلامي بخطاب يعلن فيه صراحة عداوته للإسلام؛ فهي الصورة التي تكونت في معامل المستشرقين![2]

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 56، 57

2الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 79، 80

وسائل الإعلام: فهي تؤدي دورا خطيرا في تشويه صورة الإسلام للرأي العام الغربي والعالمي من خلال وصم الإسلام بالإرهاب والتطرف والأصولية.[1]

بين نقد الذات ونقد الآخر

تعتبر آلية النقد أهم مرتكز يؤسس عليه الميلاد مقاربته لعلاقة الإسلام بالغرب، فهو لا يمارس النقد من أجل النقد في حد ذاته، بل يعتمده بغرض الكشف عن حقيقة هذه العلاقة. ثم إنه لا ينتقد جهة معينة على حساب جهة أخرى، بقدر ما يوازن في نقده بين مختلف أطراف المعادلة، فهو ينتقد على حد سواء الإعلام الغربي والإسلامي، ويؤاخذ الفكر الغربي والإسلامي. وما يهمنا أكثر في مقاربة الميلاد هو نقده للكيفية التي يقرأ بها الخطاب الإسلامي المعاصر الغرب، حيث يرى أن "الخطاب الإسلامي اليوم هو أكثر نضجا وإدراكا لحاجاته الحقيقية، وأكثر تفهما للواقع الإسلامي والعالمي".[2] فما مدى مصداقية هذا الرأي إذن وسريانه على الخطاب الإسلامي المعاصر؟ يتعرض الميلاد بالنقد لستة مزالق تحضر في تعاطي الخطاب الإسلامي المعاصر مع الغرب نلخصها فيما يلي:

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 58

2الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 85

1. **التركيز على التدهور الأخلاقي في الغرب:** يعتقد الباحث أنه من القصور والخطأ أن ننظر إلى هذه الحضارة الغربية من هذه الزاوية فقط، "ونحن في العالم العربي والإسلامي الذين نأخذ على الغرب هذه الظواهر المريضة والقاتلة، هي ذاتها الظواهر التي نقلناها عنه إلى بلداننا ومجتمعاتنا، وهي التي نأخذها عنه حتى حين ذهبنا إلى هناك للدراسة والتعلم".[1]
2. **التبشير باقتراب سقوط الحضارة الغربية:** يفند الباحث هذا الرأي، وهو يرى أن هذه الحضارة الغربية لا زالت تحتفظ لنفسها بأسباب بقائها وتفوقها، وأهم هذه الأسباب هي الأخذ بقانون العلم وتسخيره فيما يخدم رفاه وتقدم تلك المجتمعات، ويورد الميلاد تفسيرا مهما في هذا المقام، يقول فيه: "كما أن التبشير بسقوط الغرب وحضارته، هل يحل لنا المشكلة، ويرفع عنا التخلف المكثف والشامل، مع أني أحتفظ لنفسي برأي أعتقد فيه أن ليس من مصلحة الإنسانية سقوط الحضارة الغربية؛ لأن وراء هذا السقوط دمارا كبيرا للبشرية، وكل ما نريده من هذه الحضارة هو أن ترشد

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 86، 87

نفسها، وأن تغير نظرتها إلى الأمم الأخرى، وأن لا تقف في طريق نمو وتقدم باقي الأمم غير الغربية".[1]

3. **منهجية الهجوم:** وذلك من خلال وصم الحضارة الغربية بالجاهلية والعنصرية والمادية والاستكبارية والشر والكفر، وهذا أسلوب لا يجدي أمتنا الإسلامية في شيء، ولا يكشف لنا أسرار الحضارة الغربية، وكيف وصلت إلى ما وصلت إليه من تقدم وتطور مذهل، وما دامت أن غايتنا هي النهوض حضاريا بأمتنا، فبهذا الوعي والإدراك والأفق ينبغي أن ننظر إلى حضارة، كالحضارة الغربية.[2]
4. **الخوف من الغرب:** وهو خوف معقول له أسبابه الموضوعية، إذ نحاول بواسطته حماية أنفسنا وهويتنا وقيمنا وتاريخنا من الانحراف والتزييف والتغريب والاستلاب، لكن هذا لا ينبغي أن يؤدي بنا إلى الانغلاق والانطواء على الذات، "وأن نسد كل الأبواب من حولنا، ونعد أن كل ما يصلنا من الغرب مرفوض باعتباره شر مطلق، ويزين لنا الكفر، كما تصور ذلك بعض الكتابات الإسلامية التقليدية التي يفترض منها

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 88، 89

2الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 89

أنها انتهت، لكنها لا زالت موجودة مع ما يصاحبها من انحسار".[1]

5. **غياب العمق والاستيعاب في قراءة الحضارة الغربية:** يرى الباحث أن الحضارة الغربية المعقدة والممتدة التي تعاقبت عليها فلسفات متعددة، وارتقت بالعلوم إلى أرفع المستويات، لا يمكن فهمها في جوهرها، بأسلوب إنشائي أو خطابي أو تعبوي، يفتقد الإحاطة بعلوم الغرب وفلسفاته وتاريخه، حيث إننا بحاجة إلى دراسات على درجة كبيرة من العمق للحضارة الغربية في مختلف مكوناتها وأبعادها وعلومها ومعارفها.[2]
6. **الحساسية المفرطة من الغرب:** إذ أن السائد في الخطابات الإسلامية أنه يكفي أن تقول عن فكرة ما أن مصدرها من الغرب، حتى يتوقف التفكير حولها، وتأتي مسبقات الأحكام بالرفض، وقد تصل إلى اتهام من عبر عنها أو نقلها بأنه متغرب أو متأثر بالغرب.[3]

المستقبل الذي نريده

لقد تمت الإشارة آنفا إلى أن الربيعو يغيب البعد المستقبلي في علاقة الإسلام بالغرب، بينما أولى الميلاد هذا الجانب ما

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 91، 92

2الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 93

3الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 95

يستحقه من الاهتمام والبحث. يظهر منذ البداية أنه مسكون بهاجس المستقبل وما سوف تفضي إليه الأيام القادمة، وهو يدرك مدى عمق الأزمة التي تشهدها الأمة الإسلامية على مختلف الأصعدة، لذلك فهو يتساءل عن طبيعة الرؤية التي يمكن لنا أن نستشرف بها الآتي: "فأي نظرة ينبغي أن نحملها عن المستقبل الذي نريد! فإذا كان القرن العشرين هو قرن العلم والتقدم العلمي، فليكن القرن الحادي والعشرين هو قرن الارتقاء بالقيم والتقدم بالأخلاق، فمع كل ما حققه العلم إلا أنه لا يستطيع أن يحقق كل شيء للإنسان، ولا يمكن أن يعوض الإنسان عن القيم والأخلاق، وليس هناك ما يعوض الإنسان عن القيم والأخلاق، إلا القيم والأخلاق نفسها".[1]

يستفاد من هذا الكلام، أن الميلاد يتعامل مع مستقبل معين وهو مستقبلنا أو بالأحرى مستقبل الأمة العربية والإسلامية الذي نريده وننشده، لا مستقبل الآخر غربا كان أم شرقا، لكن كيف يتحقق لنا ذلك وحاضرنا مرهون لدى الغير؟ فالباحث يدرك هذا المأزق بعمق، ويراهن على بديل يحضر في الإسلام ويغيب لدى الغرب الرأسمالي العلماني، وهو بديل القيم والأخلاق التي من شأنها أن تكمل ما ينقص العلم، وأن تملأ الفجوة الروحية والنفسية التي لم يتمكن

---

1 الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 66، 67

العلم من ملئها. غير أنه هل الإنسان المسلم مهيأ لأداء مثل هذا الدور الحضاري في زمن الانسياق خلف الحضارة الغربية في بعدها الشكلي والمادي والاستهلاكي؟

إن الميلاد يربط بديله الأخلاقي بظاهرة امتداد الإسلام وانتشاره في الغرب، حيث تشير مختلف التقارير والإحصائيات والبحوث وحتى الدراسات المسيحية إلى توسع الإسلام وتقدمه على كل الديانات الأخرى،[1] ويتساءل العديد من المهتمين والخبراء والمفكرين الغربيين عن سر الجاذبية في الإسلام، الذي أضحى يتسلل إلى مختلف الشرائح الاجتماعية، سواء الفقيرة أو الغنية، المثقفة أو غير المثقفة، المتدينة أو غير المتدينة. يقول الميلاد في هذا الصدد: "ومن هذه النتائج المهمة أن انتشار الإسلام قد وصل إلى فئات اجتماعية مختلفة، بما في ذلك الفئات التي توصف بالطبقات الراقية، في حين كان الاعتقاد على فرضية أن هناك قابلية لانتشار الإسلام فلن تكون هذه القابلية إلا عند الطبقات الضعيفة والمحرومة التي تتشبث بالأفكار التي تبعث فيها الأمل، وتخرجها من دوامة اليأس، أو عند فئات ذات تعليم متدن أو متوسط على أكثر التقديرات، حيث إن من المقطوع به أو من الصعب تصوره أن يصل الإسلام إلى فئات من ذوي التعليم العالي".[2]

1الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 115

2الربيعو، الميلاد، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، ص 116

وهذا يدل على أن المد الإسلامي في عقر دار الغرب أضحى أمرا قدريا لا يمكن التحكم في سيرورته وصيرورته. ما يضع العالم الغربي أمام أمر الواقع، لأن أغلب برامجه وخططه التي ترمي إلى تقليص المد الإسلامي باءت بالفشل الذريع. ترى ما هي الأسباب التي تقف خلف الانتشار اللافت للإسلام في الغرب رغم تصاعد ظاهرة التخويف منه. لم يجب الباحث عن هذا السؤال الجوهري في علاقة الإسلام بالغرب، بقدر ما ركز على بديل القيم والأخلاق، وهو ينمذج لذلك بالتماسك الأسري التي يتسم به المجتمع الإسلامي. لكن إلى أي مدى نظل نتمسك بهذه الفكرة أمام التراجع الأخلاقي والتفكك الأسري الذي يشهده المجتمع الإسلامي عامة والشريحة المسلمة في الغرب خاصة؟

خلاصة

إن كتاب **الإسلام والغرب الحاضر والمستقبل** يندرج في نطاق النقاش، الذي يدور في السياق العربي والإسلامي حول علاقة الإسلام بالغرب. كلا الباحثين (الربيعو والميلاد) يركزان على أهمية الخيار الإسلامي ليس في هذه العلاقة فقط، بل على المستوى الكوني أيضا، لأن الإسلام يتسم بالرؤية المتوازنة للإنسان والوجود والحياة التي تفتقر إليها أغلب الأديان والثقافات والفلسفات، غير أن لكل باحث آلياته الخاصة في فهم ذلك الخيار وترجمته على أرض الواقع، فإذا كان الربيعو أكثر تأثرا بأفكار التيار العقلاني الحداثي الذي

تمثله مجموعة من المفكرين العرب، كالجابري وحنفي وأركون وجعيط وأبو زيد وغيرهم، فإن الميلاد أكثر تشبعا برؤى الطرح الإسلامي المعتدل، كما هو قائم لدى مجموعة من الدعاة والعلماء الإسلاميين، كيوسف القرضاوي ومحمد الغزالي ومحمد عمارة وغيرهم. ومهما اختلفت الآليات والمنطلقات، فإن الهدف يظل موحدا، وهي الرقي بالعلاقة بين الإسلام والغرب، وجعل الحضور الإسلامي في الغرب أكثر إيجابية، وتحفيز المسلمين على استثمار مكاسب الحضارة الغربية المعاصرة، التي من شأنها أن تشكل سببا جوهريا لنهضة الأمة العربية والإسلامية.

الفصل الرابع:
مزالق التعريف بحقيقة الإسلام في الغرب

مقدمة

نخصص هذا الفصل لكتاب الروائي المغربي الطاهر بن جلون، الذي يحمل عنوان: *أبي، ماذا يعني أن تكون مسلما؟*[1] وهو مؤلف يوضح للأجيال الناشئة حقيقة الدين الإسلامي ومختلف جوانب الحضارة العربية الإسلامية قصد تقديم صورة ما حول الإسلام بصفة عامة. لذلك سوف نرصد من خلال ما يأتي الكيفية التي يقدم بها الكاتب هذه الصورة، حيث نثبت بعض الجوانب الإيجابية لهذا العمل، لكن دون التغاضي عن المغالطات الكثيرة التي انزلق الكاتب في مطباتها. وهي مغالطات من شأنها أن تشوش على عقيدة الأجيال المسلمة الصاعدة لاسيما التي ولدت في الغرب، وتقدم في الوقت نفسه صورة منقوصة عن الإسلام للآخر.

تندرج هذه المراجعة الفكرية في سياق اهتمامنا بما يكتب وينشر حول ثنائية الإسلام والغرب، سواء من قبل باحثين وكتاب غربيين أو مسلمين. والأهم هنا هو الصورة التي تنسج

---

1 اعتمدت في هذه المراجعة على الترجمة الهولندية للكتاب:

Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? (transl. Zsuzso Pennings). Breda: Uitgeverij De Geus.

حول الإسلام، وهي تختلف من مثقف إلى آخر، ومن كاتب إلى آخر، ويمكن تحديدها في ثلاثة أنماط. أولها موضوعي حيث الإسلام يدرس بنوع من الحياد وفي انفصال عن الأحكام المسبقة، كما لدى هانس كونغ، وكارل أمسترونغ، وإنجمار كارلسون، وفان كونينسفيلد، وغيرهم كثير. أما النمط الثاني، فإيديولوجي يسعى إلى تشويه حقيقة الإسلام وربطه بالإرهاب واضطهاد المرأة والقصاص وعداء الآخر غير المسلم، كما يتجلى من خلال كتابات أيان هرشي علي، وإحسان جامي، وإفشين أريان، وغيرهم. في حين يوفق أصحاب النمط الثالث بين التفسير الموضوعي لبعض القضايا والتعاطي الإيديولوجي مع قضايا أخرى، ولعل هذا ما ينطبق بشكل أو بآخر على الخطاب الذي يتبناه الطاهر بن جلون في هذا الكتاب الذي نراجعه. يقول:

"أحكي هنا عن الإسلام والحضارة العربية لأطفالي الذين ولدوا مسلمين، لكل الأطفال بغض النظر عن أوطانهم وأصولهم ودياناتهم ولغاتهم وتطلعاتهم. هذه ليست موعظة، ولا مرافعة، ولا أسعى إلى أن أقنع أحدا. إنني أحكي بموضوعية وبساطة تامة سيرة شخص أصبح رسولا، وأيضا تاريخ ديانة وحضارة حملها إلى الإنسانية".[1]

1 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 14

وقد اعتمدت النسخة الهولندية المترجمة من اللغة الفرنسية من طرف Zsuzso Pennings، والصادرة عن دار النشر De Geus التي ترجمت للكاتب عددا من الروايات، مثل: ليلة القدر، الكاتب، صلاة الغائب، وتلك العتمة الباهرة. وقد اختار المترجم لهذا الكتاب عنوان: *أبي، ماذا يعني أن تكون مسلما؟* الذي يختلف عن العنوان الفرنسي الأصلي وهو: *شرح الإسلام للأطفال*.[1] وقد تمت صياغة الكتاب في شكل محادثات بين الكاتب وأطفاله موزعة على تسعة أيام/فصول، تناول أثناء كل يوم أو فصل جملة من القضايا والمفاهيم على الشكل الآتي:

- اليوم الأول: حديث عام حول الإسلام والإرهاب والتعصب.
- اليوم الثاني: العرب، سكان الجزيرة العربية، وبدايات نزول الوحي على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.
- اليوم الثالث: نشأة الدين الإسلامي وأركانه الخمسة.
- اليوم الرابع: نشوب الصراع بعد وفاة الرسول، لاسيما بعد مقتل الخليفة الثالث، وظهور إرهاصات المذهب الشيعي في مقابل أهل السنة.
- اليوم الخامس: العصر الذهبي للإسلام، ودور العلماء المسلمين أثناء العصر العباسي في النهضة العلمية والحضارية.

1 Ben Jelloun, T. (2002). L'islam expliqué aux enfants. Paris: Le Seuil.

- اليوم السادس: الإسلام في الأندلس، وإسهام المسلمين في مختلف العلوم والمعارف كالفلك والطب والبصريات والتصوف والآداب وغيرها.
- اليوم السابع: بداية عصر الانحطاط والحروب الصليبية وسقوط الأندلس.
- اليوم الثامن: العلمانية والحجاب والنقاب والاستعمار الغربي للعالم العربي.
- اليوم التاسع: توظيف الإسلام من قبل الأصوليين لأغراض أيديولوجية، بالإضافة إلى مفاهيم الشريعة والفتوى والجهاد والتسامح.

الطابع البيداغوجي للكتاب

رغم أن الكاتب يشير إلى أن مؤلفه لا علاقة له بالوعظ أو الترافع لصالح الدين الإسلامي، إلا أن الطابع التربوي والتعليمي يبدو بارزا في هذه المحاولة التي يبين فيها لأطفاله، ومن ثم لباقي أطفال العالم حقيقة الإسلام؛ عقيدة وثقافة وتاريخا وواقعا. فهو يسهم بذلك، وعيا منه أو بلا وعي، في توصيل ماهية هذا الدين. وهذا يعني أن آلية الوعظ التي ينفيها الكاتب، إنما تحضر بشكل ربما يختلف عن خطاب الوعظ التقليدي لكنه يتقاطع معه في مقصد التعريف بالإسلام.

بصرف النظر عن المغالطات الفقهية والمعرفية والتاريخية التي وقع فيها الكاتب (كما سوف نرى لاحقا)، فإن هذا الجهد لا يخلو من جملة من الإدراكات التي ترسم للمسلم ولغير المسلم على حد سواء صورة تقريبية للإسلام، كما يتجلى من خلال العناصر الآتية:

توعية النشء بقيمة الإسلام: إن أهم هاجس كان يسكن الطاهر بن جلون أثناء كتابة محادثاته مع أطفاله، التي قد تكون واقعية أو صورية، هو تشديده المستمر على قيمة الدين الذي ينتمون إليه، والهوية التي يحملونها، والثقافة التي يمثلونها، لاسيما في السياق الغربي المقطوع عن تربتهم الأصلية. وهو سياق يقتضي من المهاجرين والأجانب مراعاة الآخرين الأصليين، وأخذ لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم بعين الاعتبار، وإلا فإنهم سوف يحكمون على أنفسهم: إما بالعزلة أو الصدام أو الانصهار. ولئن كان الكاتب لا يفصح عن هذه الأمور بشكل صريح ومباشر، غير أن القراءة الشمولية لأفكار هذا الكتاب وفصوله، توحي بأنه اختار لغة الحكي السلسة المنسابة، ليجعل أطفاله وغيرهم من أطفال العالم يدركون قيمة الدين الإسلامي، الذي عادة ما يقدم في وسائل الإعلام الغربية بكونه خطرا أخضر يهدد استقرار الغرب وطمأنينته. وهذا ما يتردد بالضبط على لسان طفله أثناء إحدى المحاورات: "لكن نشاهد في التلفاز أن المسلمين سيؤون، لأنهم يقومون بقتل الكثير من الناس، لهذا السبب لا أريد أن

أكون مسلما". غير أن الأب سرعان ما يتدارك الأمر ليوضح أن الأعمال السيئة توجد في أي مكان، وأن من يقوم بمثل ذلك لا يمكن أن نعتبره مسلما حقيقيا.[1]

التعريف بالإسلام: وقصد ترسيخ الوعي بقيمة الدين والثقافة الإسلاميين، فإن الكاتب يعمل على التعريف بمختلف القضايا الفقهية والمعرفية والتاريخية المرتبطة بالإسلام. فهو يخصص أكثر من يوم لحديثة في هذا الصدد، كما هو الشأن في اليومين الخامس والسادس، حيث يميط اللثام عن العصر الذهبي في تاريخ الإسلام الذي ارتكزت عليه دعائم المدنية الغربية الحديثة، التي أخذت من الحضارة الإسلامية شتى المعارف والعلوم والتقنيات أثناء نهضتها منذ القرن الرابع عشر الميلادي.

يتوقف الكاتب عند الكثير من المحطات التاريخية والعلمية التي تثبت للمسلمين الريادة في العلم والمعرفة والفن، فهم لم يقتصروا على ترجمة العلوم الفلسفية اليونانية ونقلها إلى العربية، بل ساهموا بصياغة علوم جديدة، والقيام بمختلف الاختراعات، وتأسيس المعاهد والمستشفيات والمكتبات. ولعل أهم إشارة يضمنها الكاتب الفصل السادس من شأنها أن تؤثر في الأجيال المسلمة الصاعدة، مؤداها أن كل اختراع أدبي أو فكري أو علمي

1 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 7-8

توصل إليه الغرب في العصر الحديث، إلا ويعود أصله إلى الحضارة الإسلامية. وهذا يعني أن العلماء الغربيين أخذوا أمورا كثيرة من التراث الإسلامي، فألبسوها قشيبا أوروبيا. وبيان ذلك، أن قصص الحيوانات (فابلس) للشاعر الفرنسي لافونتين، إنما هي مجرد اقتباس لقصص كليلة ودمنة، التي بدورها أخذها العرب عن الحضارة الهندية. وقصة روبينسون كروسو هي بمثابة إعادة إنتاج لقصة حي بن يقظان. ورحلة ماركو بولو سبقتها رحلة بن بطوطة بقرون طويلة. والإسطرلاب الذي يُزعم أنه من اختراع الإيطالي فلافيو جيوجا هو في الأصل اختراع إسلامي محض.[1] وغير ذلك من الإسهامات العلمية الإسلامية التي يحاول الكاتب الاستشهاد بها بين الفينة والأخرى في محادثاته مع أطفاله.

الدعوة إلى التعايش مع الآخر: لا يعرف الكاتب لأطفاله حقيقة الإسلام في قطيعة مع السياق الغربي، بل يستحضر دوما أن محاوراته صيغت خصيصا لذلك الطفل المسلم الذي يعيش في الغرب. ويمكن أن يسري هذا أيضا على الإنسان الغربي العادي الذي لا يعرف شيئا عن الإسلام. لذلك، من شأن هذا الكتاب أن يقرب القاريء بشكل أولي وعام من القضايا الإسلامية الجوهرية، سواء الفقهية أو

---

1 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 54-55

التاريخية أو العلمية. وهذا ما يعبر عنه الكاتب من خلال الفقرة الآتية:[1]

"لا يمكن الحديث أصلا عن حرب بين الدينين الإسلامي والمسيحي، فالمسلمون هنا محظوظون بأن يعيشوا في بلد ديمقراطي يضمن حرية التدين. غير أنه لا ينبغي أن ننسى أن هولندا وبلجيكا دولتان علمانيتان، وهذا يعني أنهما لا تتبنيان أي دين. فكل الديانات لها الحق في الوجود، لكن دون أن تهيمن الواحدة على الأخرى. في الأخير أقتبس آية قرآنية تثمن اندماج الأعراق: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا".[2]

تبرئة ساحة الإسلام: اللافت للنظر أن الكاتب يسعى منذ البداية حثيثا إلى ترسيخ حقيقة أساسية في أذهان الأطفال، مؤداها أن ذمة الإسلام بريئة مما يلصق به من تهم وشائعات. إن ما يقال أو يرتكب باسم الإسلام يمكن رده إلى عاملين: أحدهما التوظيف الإيديولوجي للإسلام من أجل تحقيق جملة من الأهداف السياسية أو الذاتية التي لا تخدم الإسلام والمسلمين في شيء. والعامل الآخر هو جهل البعض بحقيقة الإسلام، وهذا ما ينطبق على الذين ينفذون

1 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 74-75

2الحجرات: 13/49

بعض التفجيرات مثلما حدث في 11 سبتمبر 2001. لذلك يعتقد الكاتب "أن الأشخاص الذين امتطوا الطائرة، وقاموا بذبح الربابنة، وتوجيه الطائرات نحو الأبراج في مدينة نيويورك، يجهلون الإسلام تماما، فهم متشددون".[1] ويقول الكاتب جوابا عن سؤال ابنه حول الطريقة المثلى التي يمكن أن نواجه بها التطرف: "ينبغي محاربة الجهل، لأنه هو الذي يسبب التطرف والتعصب. وليس هناك أخطر من ذلك الشخص الذي لا يعرف شيئا، ويزعم أنه يعرف كل شيء".[2]

توظيف لغة أدبية سردية تعين على الفهم: لم يخرج الطاهر بن جلون عن أسلوبه الأدبي السردي المعهود في كتاباته الروائية التي طبّقت الآفاق، بقدر ما استثمر المؤهلات الأسلوبية والسردية التي يتمتع بها لتقريب حقيقة الإسلام إلى الأجيال الصاعدة. لذلك جاءت لغته سلسة منسابة خالية من التعقيدات في التركيب، والحشو في المعنى. ثم إنه اختار قالب الكتابة الروائية في هذه المحادثات معتمدا التقسيم إلى وقفات أو فصول، كأنه يكتب يوميات متعاقبة حافظ فيها على تسلسل الحكي، وعوض أن يؤلف نصا موضوعيا يوثق فيه الإسلام، فإنه يقدم لنا قصة الإسلام منذ فجره إلى يومنا هذا.

---

1 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 8

2 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 86

مؤاخذات نقدية وموضوعية

ولئن كانت الجوانب الإيجابية تتنوع في كتاب الطاهر بن جلون كما سجلنا أعلاه، غير أنه لا يخلو من الكثير من السلبيات التي يمكن أن يؤاخذ عليها الكاتب، لأنها تنطوي على مغالطات ومزالق واضحة في استيعاب بعض قضايا الإسلام، ما يقدم صورة مختلة ومنقوصة سواء للطفل المسلم أو للآخر غير المسلم. ويمكن تفسير هذا بطبيعة التصور الذي يحمله الكاتب، وهو تصور لا يختلف كثيرا عما هو سائد لدى المفكرين العرب الحداثيين، كمحمد أركون وحسن حنفي وهشام جعيط وناصر حامد أبو زيد وغيرهم. فهؤلاء يرجحون كفة العقل في دراسة الإسلام على حساب كفة النص، ما يفضي إلى التشكيك في مختلف نصوص القرآن والحديث، إما بدعوى أنها تاريخية لا تصلح إلا لسياقها القديم الذي ظهرت فيه دون غيره من السياقات اللاحقة، وإما بإخضاعها لسلطة التأويل الذي قد يخرجها من معناها الحقيقي ويحملها لا تحتمله من دلالة.

وتتوزع أهم المغالطات التي انزلق إليها الطاهر بن جلون على ثلاثة مستويات. أولها ما هو فقهي يتعلق ببعض الفرائض الدينية والمعاملات، كالصلاة والقصاص والحجاب. وثانيها ما هو معرفي يرتبط بجملة من الحقائق البديهية التي سبق وأن حسمها القرآن الكريم منذ أمد طويل مثل: صلب المسيح، وصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وعلاقة الإسلام

مع الديانات السماوية الأخرى، وآخرها ما هو تاريخي، كجذور العداء الغربي، وقضية الإرهاب، ولغة أهل المغرب، وحقوق المرأة.

أولا: مزالق ذات طابع فقهي

نكتفي في هذا المبحث بثلاثة مسائل جوهرية، سواء في النقاش البيني الداخلي بين المسلمين أنفسهم أو الخارجي مع غيرهم، وهي على التوالي: فريضة الصلاة، حد السرقة وقضية الحجاب.

فريضة الصلاة: يذهب الكاتب إلى أن أداء الصلاة وغيرها من الفرائض مسألة شخصية؛ فالإنسان حر في القيام بها. يتهرب الكاتب عن الإجابة بشكل واضح عن سؤال طفله حول ما إذا كان يؤدي الصلاة أم لا. يقول أنه "لا ينبغي أن تطرح مثل هذه الأسئلة، ولا يلزمني أن أجيب عن مثل هذا النوع من الأسئلة، فهذا يتعلق بمسؤوليتي الشخصية".[1] ثم إنه عندما يقوم بشرح الصلاة بكونها ركن الإسلام الثاني، يعتبر أن وقت أدائها ليس إجباريا، إذا كان المرء يعمل أو لا يملك الوقت الكافي للصلاة، فيمكن له أن يؤجلها إلى آخر اليوم.[2] فالكاتب يمارس هنا تأويلا شخصيا على مسألة

---

1 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 12-13

2 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 29

جوهرية في الدين الإسلامي سبق أن حسمها القرآن منذ البداية؛ "إن الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا".[1]

لذلك، فإن الموقف يقتضي من الكاتب أن يوضح هذه المسألة بشكل موضوعي على أساس القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه الإسلامي، لأن أداء الصلاة المفروضة في وقتها ثابتة بنص قرآني قطعي وأحاديث نبوية مؤكدة وصحيحة. فضلا عن ذلك، فإن الكاتب يوجد في مقام تعليم الأطفال حقيقة الإسلام، لاسيما في مجال تداولي حساس وهو الغرب. ما يتطلب منه التجرد مما هو ذاتي، وشرح حقيقة الصلاة أولا كما يقرها الشرع الإسلامي، وبعد تبيان ذلك يمكن له أن يدلي برأيه الشخصي تفاديا لإحداث أي لبس في فهم الطفل لفريضة الصلاة.

حد السرقة: يسلك الكاتب الأسلوب السابق نفسه أثناء حديثه عن حد السرقة في الإسلام، وهو حد يقره القرآن الكريم بشكل قطعي، كما ورد في قول الله سبحانه وتعالى: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".[2] وقد بين الفقه الإسلامي مختلف جوانب حد السرقة؛ متى يطبق هذا الحد؟ ومن يعاقب بحد السرقة؟ وكيف ينزل ذلك على الواقع؟ وما هي

1النساء: 103/4

2المائدة: 38/3

الشروط الموجبة له؟ وغير ذلك. غير أن الكاتب لا يلتفت إلى هذا الإطار الفقهي اللازم في العملية التربوية، بقدر ما يُعمل رأيه وهو يشير إلى أن حركة طالبان الأفغانية مارست العديد من الأعمال الهمجية مثل قطع يد السارقين.[1] وهذا أمر لا غبار عليه، إذ يجمع المسلمون على أن حركة طالبان وظفت الشريعة الإسلامية بشكل إيديولوجي مسف، وطبقت جملة من العقوبات دون مراعاة المناطات والمآلات والمقاصد.

لكن عندما تذكر للطفل عقوبة قطع اليدين دون ربط ذلك بالعدالة الاجتماعية وحماية الممتلكات العمومية والخاصة والشروط الفقهية الدقيقة الموجبة لذلك، فإنه لن يستوعب أبدا حقيقة هذا الحد وغيره من الحدود، ويوحي له كلام الكاتب بأن حد السرقة في القرآن والإسلام جائر، في حين أن الجائر هو الكيفية التي ينزل بها. وهذا ما قد ينطبق على حركة طالبان وغيرها التي لم تراع المناط والمقصد في تطبيق هذا الحد الفقهي، الذي جاء به الإسلام ليحل إشكالية السرقة والاعتداء على أموال الغير. بالطبع، لن يتم ذلك إلا بتوفر الأدلة الثبوتية الدقيقة حيث تؤخذ جملة من العوامل بعين الاعتبار، كالسياق ودوافع السرقة، ووضعية السارق الاقتصادية، وهلم جرا. لا نعرف لماذا لم يجرأ الكاتب على ذكر هذه الأمور في كتابه؟ هل أنه لم يقتنع

1 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 83

بهذا الحكم القرآني القطعي أم أنه يخشى انتقادات الغرب الذي عهد فيه روائيا ليبراليا متحررا من التقاليد والعقائد؟

قضية الحجاب: ينقل الكاتب ما ورد في سورة النور بخصوص ارتداء الحجاب: "وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ".[1] ثم يوضح أن المراد من هذه الآية هو أنه يتم التمييز بين نساء المؤمنين وغيرهن من النساء غير المسلمات بواسطة الخمار. غير أنه يناقض هذا الحكم الذي اقتبسه نفسه من القرآن الكريم في موضع آخر، عندما يذهب إلى أنه "لا يوجد في القرآن إلا ما مؤداه أنه يجب على المرأة التي تصلي وتتوجه إلى الله أن تضع الحجاب على رأسها، وتضع على جسدها لباسا غير ضيق".[2] ثم يضيف أن هذا الأمر موجود أيضا في اليهودية والنصرانية، حيث أنه لا يسمح

---

1 النور: 31/24

2 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 68

للمرأة التي ترتدي ثيابا غير لائقة، أو تكشف شعرها بالدخول إلى الكنيسة أو المعبد.

ويظهر أن هذه المقارنة بين الحكم القرآني والكتابي بخصوص ارتداء الحجاب ليست في محلها، لأن الموقف يقتضي شرح ما يقوله الإسلام حول مسألة حجاب المرأة لشريحة مهمة، وهي شريحة الأطفال التي تحتاج إلى تعاط بيداغوجي يتأسس على الوضوح والتبسيط ونقل المعلومة بشكل أمين، تماما كما يصنع المعلم داخل حجرة الدرس. على العكس من ذلك، يعتمد الكاتب هنا التأويل الشخصي الذي يخرج المسألة عن إطارها الفقهي الصحيح، فيربط ارتداء الحجاب بأداء الصلاة، وهذا محل إجماع الفقهاء حول ارتداء المرأة اللباس الشرعي أثناء الصلاة، على أن لا يظهر من جسمها إلا الكفين والوجه، وأن يكون فضفاضا غير ضيق، وسميكا لا يشف، ولا يكون من لباس الرجال. غير أن هذا لا يقتصر على الصلاة فقط، بل يتعداها إلى أي ظهور للمرأة في الفضاءات العمومية وأمام الأجانب. أما بخصوص موقف اليهودية والمسيحية من لباس المرأة التي تدخل دور العبادة، فلا قياس مع وجود الفارق، لأن الأمر يتعلق في الإسلام بحكم قرآني واضح، في حين أن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد لا يوضح ما إذا كان هذا اللباس إجباريا أو اختياريا، ثم إنه لا يقدم تفاصيل حول طبيعة هذا اللباس. بالإضافة إلى ذلك، فإن ستر النصرانية

واليهودية لجسمهما ينطوي على نوع من الاحترام لدور العبادة المقدسة، في حين يشكل ارتداء المسلمة للباس الشرعي أمرا واجبا بمقتضى النص القرآني.

ثانيا: مزالق ذات طابع معرفي

علاوة عما سبق من مزالق ذات طابع فقهي، وقع الكاتب في جملة من المزالق المعرفية. نقتصر في هذا المبحث على التريث عند صلب المسيح، وصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وعلاقة الإسلام بالأديان السماوية الأخرى.

صلب المسيح: تجمع أغلب التيارات النصرانية الدين على أن المسيح صلب بشكل واقعي وهو في سن الثالثة والثلاثين، لأن مجيئه إلى الأرض كان بهدف فداء الإنسانية من الخطيئة التي وقعت في براثنها، لاسيما وأنها انحرفت عن القوانين التي وضعها الله وأمر باحترامها. ولا يمكن التكفير عن هذه الخطيئة إلا بالدم، حتى تستمر الإنسانية في الحياة، لذلك قدم المسيح إلى العالم ليفتدي بدمه تكفيرا عن خطيئة البشر. وقد صلب كما يزعمون يوم الجمعة التي تعرف بالجمعة الحزينة، التي تسبق عيد الفصح الذي يحييه المسيحيون كل سنة.[1] أما الإسلام فيفند هذا الاعتقاد

1لقد فصّل العهد الجديد من الكتاب المقدس في أناجيله الأربعة ومختلف رسائل الرسل في مسألة صلب المسيح وموته وما صاحب ذلك من أحداث خارقة. ينظر:

Bijbelstichting, K. (2012). Bijbel Willibrordvertaling. Heerenveen: Jongbloed.

وينقضه، ورد في القرآن الكريم أن المسيح عليه السلام لم يصلب: "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا".[1] ما يبعث على الاستغراب أن الطاهر بن جلون يتناول مسألة الصلب بطريقة توحي بأنه يثبتها أو يسلم بها، فلا يُذكر أطفاله بموقف الإسلام الداحض لها، لاسيما وأنه بصدد التعريف بالإسلام وما استشكل من حقائقه وقضاياه. يقول الكاتب في تعريفه للحروب الصليبية أنها اشتقت من "كلمة الصليب، فالصليب هو رمز المسيحيين، المسيح تم صلبه. والحملة الصليبية تعني الحرب باسم النصرانية ضد أولئك الذين يتصدون لهذا الدين ويمنعون انتشاره".[2] هكذا يثبت الكاتب أن المسيح عليه السلام صلب، ولا يذكر لأطفاله أن هذه مجرد رواية مسيحية يرفضها القرآن والإسلام. ثم أليس من البديهي أن أي طفل تحكي له قصة الصلب سوف يتساءل لا محالة عن سبب ذلك الصلب، بل وسوف يتأثر لذلك المصير المأساوي؟

صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان: لايختلف خطاب الطاهر بن جلون كثيرا عن الفكر الحداثي الليبرالي الذي

1النساء: 157/4

2 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 60

يدعو إلى إخضاع ثوابت الإسلام العقدية والتعبدية للعقل من جهة، وللسياق المعاصر من جهة ثانية، ما يعني تجاوز بعض المسلمات الدينية التي يُزعم أنها لم تعد صالحة في المجال التداولي الجديد، ثم إنه ينبغي تجديد مسلمات أخرى وتكييفها مع معطيات الواقع المعاصر. نعتقد أنه يجب أن نتعمق في النصوص الدينية قصد تجديد فهمنا لها، لا تجديد النصوص نفسها التي صمدت منذ أكثر من أربعة عشر قرنا رغم التحولات المتنوعة التي اعترت أحوال المسلمين. وهذا يعني أن النص الديني سواء القرآني أو الحديثي، يظل هو الثابت في تراثنا وواقعنا الإسلامي على مر الأحقاب؛ "إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"،[1] في حين يظل الإنسان المسلم هو المتحول على مر العصور، في تعامله مع مستجدات الحياة وتعاطيه مع نوازل الواقع. ومن المعلوم أنه عادة ما تربط التيارات العلمانية والحداثية إشكالية التخلف بالدين، رغم أن الخطاب الديني الإسلامي يطرح مختلف البدائل الروحية والأخلاقية والتربوية والاجتماعية للرقي بالإنسان والمجتمع.

يعتقد الكاتب أنه توجد في الإسلام كما في الديانات الأخرى أمور أزلية ومطلقة، وأخرى آنية، أي أنها مناسبة لحقبة زمنية معينة، وليس لكل الأزمنة. والمشكلة أن البعض

1 الحجر: 9/15

يرى أن كل شيء في الإسلام أزلي ومطلق، وليس هناك شيء يقبل التغيير، ويذهب فريق آخر إلى أنه ينبغي أن نكيف الدين مع الواقع الذي نعيش فيه.[1] ويفصل الكاتب وجهة نظره أكثر في موضع آخر أثناء كلامه عن بعض التيارات الإسلامية المعاصرة:

> "عندما تسمع إلى الإسلاميين، تدرك أنهم يدعون الناس إلى أسلوب حياة معين، سلوك وأسلوب اللباس الذي يريدون تطبيقه لا يناسب الحياة المعاصرة. وهم ينسون أن الإسلام نشأ منذ حوالي أربعة عشر قرنا. وأنه توجد في تعاليمه قيم أزلية مطلقة، لكن هناك أمور تتعلق بالزمن الذي نشأ فيه، ولا تلائم الحياة المعاصرة. يريدون (أي: الإسلاميون) العودة إلى حياة الرسول وتفسير رسالة محمد بطريقة محدودة واستعراضية وتصويرية."[2]

يبدو جليا من خلال هذا الكلام أن الكاتب لا يرتاح للمقاربة الإسلامية "الأرثودوكسية" التي تتعاطى مع النصوص الدينية بصيغة حرفية، وتستلهم المرحلة النبوية بشكل مطلق، رغم أنه يعيش في السياق الأوروبي الذي تحكمه فلسفة التعددية التي تنفتح على جميع المكونات

1 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 85
2 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 76-77

الدينية على اختلاف مشاربها وأطيافها ومقارباتها شريطة أن تحترم القوانين المعتمدة، ولا تسيء إلى الآخر المختلف عنها. وقياسا على هذا، لا نعرف ما هو موقف الكاتب من الأرثودوكسية اليهودية والنصرانية التي لا تختلف كثيرا عن الأرثودوكسية الإسلامية في التعاطي مع الماضي والتشبث به.

ثم إن الكاتب يشدد على أن الإسلاميين يرفضون المساواة بين الرجل والمرأة، وهذا حكم يقتضي مزيدا من التوضيح؛ ماذا يقصد بالإسلاميين؟ كيف تعامل الإسلام مع المرأة؟ هل تتعلق إشكالية المساواة بين الرجل والمرأة دوما بما هو ديني، أو بالأحرى بجماعة دينية معينة أم أنها ترجع إلى ما هو ثقافي وإثنوغرافي أيضا؟ أليس الإسلام هو الدين الأول والأوحد الذي حرر المرأة من ظلمات الأديان والثقافات الغربية والشرقية ومنحها حقوقها ومكانتها المرموقة؟ قد يقال بأن الكاتب ينطلق من واقع المسلمين الذي تضطهد فيه المرأة. وإن كان الأمر كذلك، فإن المقام يلزم مزيدا من التوضيح والتبسيط، حتى لا يلتبس الفهم على الأطفال الذين يقدم لهم حقيقة الإسلام.

الإسلام والأديان الإبراهيمية: إن الكاتب يضع في أكثر من موضع الإسلام رفقة النصرانية واليهودية في سلة واحدة، حتى إن القاريء العادي قد يفهم أنه ليس هناك فروقا معينة بين هذه الأديان. يأمل الكاتب أن يشكل كل من اليهود

والمسيحيين والمسلمين مجتمع المؤمنين الموحد،[1] ما دام أن هذه الأديان الثلاثة تتأسس على دعامة الوحدانية المشتركة. لعل هذا يبدو صحيحا إلى حد ما على المستوى الصوري، أما في الواقع فتنتصب العديد من الاختلافات الإيمانية والطقوسية التي تجعل كل دين ينفرد بوحدانية خاصة به، فالعهد القديم يربط الإله الواحد بالشعب الإسرائيلي "المختار" دون غيره، والنصرانية تشرك مع الإله الأب الإله الإبن والروح القدس، فتستحيل الوحدانية ثالوثا، والمسلمون يؤمنون بالله الواحد الذي لم يلد ولم يولد، وليس كمثله شيء، وهو رب العالمين.

وعندما يطرح عليه طفله سؤالا وجيها مؤداه: لماذا يتحارب اليهود والمسلمون رغم أنهم يعبدون إلها واحدا؟ يوضح له أن الأمر لا يتعلق بحرب دينية، بل بحرب حول الأرض. وهو يسقط بهذا التفسير في مغالطة غريبة، لأن الصراع حول الأرض لم يطفو على السطح إلا منذ منتصف القرن العشرين، وهو صراع ليس بين اليهود والمسلمين بل بين الصهاينة والفلسطينيين. أما قبل ذلك التاريخ فكان الصراع في أغلبه عقديا وفكريا من خلال الجدل الكلامي بين اليهود والمسلمين الذي نشأ في العهد النبوي ليستمر عبر مختلف أحقاب التاريخ الإسلامي. ثم إن اليهود عاشوا في ظل

1 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 21

الدول الإسلامية في تسامح واحترام، بل حتى إن النهضة الفكرية والفلسفية اليهودية شهدت عهدها الذهبي في الأندلس الإسلامية. فضلا عن ذلك، فإن المتدينين اليهود الحقيقيين يرفضون قيام دولة إسرائيل لأن ذلك يتنافى مع التعاليم التوراتية، حتى إن الحاخام ديفد شلومو فيلدمان يذهب إلى أن "الإرهاب والوحشية في فلسطين بعيدان كل البعد عن الدين اليهودي"، ثم إن أبراهام بورغ رئيس الكنيست الأسبق ورئيس الوكالة اليهودية يقول في كتابه *لكي نهزم هتلر* أن الإيديولوجيا الصهيونية لم تحرر الشعوب اليهودية، بل كانت كارثة عليها.[1]

ثالثا: مزالق ذات طابع تاريخي

تتحدد أهم المزالق التاريخية في كتاب الطاهر بن جلون في قضايا الإرهاب، وحقوق المرأة في تونس، ولغة أهل المغرب. وسوف نستهل هذا الفصل بالمسألتين الأخيرتين، ثم ننتقل بعد ذلك إلى مسألة الإرهاب.

لغة أهل المغرب: يقول الكاتب: "في المغرب يتم الحديث بالعامية المغربية (الدارجة)، في مقابل العربية لغة الكتب، وتسمى العربية التقليدية أو الأدبية".[2] وهو بذلك يطمس

1 ولد أباه، السيد، يهود ضد إسرائيل، جريدة الشرق الأوسط، الجمعة 04 شعبان 1428 هـ 17 اغسطس 2007 العدد 10489

2 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 24

حقيقة الواقع، لأن لغة أهل المغرب ليست العامية وحدها، فأكثر من نصف ساكنة المغرب يتحدثون اللغة الأمازيغية بتعابيرها الثلاثة: الريفية (تريفيت)، السوسية (تسوسيت) والأطلسية (تشلحيت). ولا أدري لماذا يغالط الكاتب أطفاله؟ أجهلا منه بخارطة المغرب اللغوية (وهذا غير وارد) أم رفضا منه للغة الأمازيغية (وهذا وارد)؟

حقوق المرأة في تونس:[1] يزعم الطاهر بن جلون أن الدولة التونسية منحت مواطنيها مختلف الحقوق، بل إن المرأة التونسية نالت حقوقها، ما غير وجه تونس بشكل إيجابي.[2] غير أنه لا يوضح أي نوع من النساء نال حقوقه في تونس؛ هل القرويات أم المدنيات؟ هل الأميات أم المتعلمات؟ هل الإسلاميات أم العلمانيات؟ ولعله لا يخفى عن أحد التوجه الليبرالي العلماني للدولة التونسية في عهدي بورقيبة وبنعلي، الذي أحدث شرخا عميقا في المجتمع التونسي من خلال سياسة التحرر على حساب المحافظة، والمعاصرة مقابل الأصالة، فكانت المرأة لاسيما المسلمة المتحجبة الضحية الأكبر في تونس. وهذا ما يتعارض مع ما يسرده الكاتب للأطفال، لأنه يغالطهم من خلال تقديم

---

1 الكلام هنا قبل قيام الربيع العربي في تونس وغيرها من البلدان العربية، لأن كتاب الطاهر بنجلون الذي ضمنه رأيه هذا صدر عام 2002.

2 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 86

الوجه الواحد الوردي من العملة دون وجهها الخلفي المأساوي.

الإرهاب غير إسلامي: لا يهتم الكاتب كثيرا بالقضية الفلسطينية وحقيقة الصراع الصهيوني الفلسطيني، وهي أمور جوهرية لاستيعاب جانب من الصراع الشمولي بين الغرب والإسلام، وهذا ما يجب إيصاله إلى الأجيال الصاعدة بموضوعية وعقلانية وحكمة. إن الكاتب يشير إشارة خاطفة في أقل من سطر، فحواها أن الصراع بين المسلمين واليهود ليس دينيا، بل حول الأرض، كما تمت الإشارة أعلاه.

ثم إنه يكتفي أثناء حديثه عن عداء الإسلاميين للغرب، الذي يطلق عليه قسرا "الإرهاب الإسلامي"، بتوصيف العمليات التفجيرية، ونقل مشاعر الناس تجاهها، والتنديد بمن يقف وراءها. ومما لا ريب فيه أن معظم المسلمين يشجبون أي عمل إرهابي يستهدف الأبرياء والمدنيين. إن ما يغيب في تفسير الكاتب لظاهرة الإرهاب عامة والتهديدات الموجهة إلى المصالح الغربية خاصة هو التنقيب الموضوعي في الأسباب التي تقف وراء ذلك، ولعل كل طفل قد يطرح هذا الصنف من الأسئلة التي تصل الحدث بالسبب، والنتيجة بالمقدمة، والفعل بالفاعل. وما دام أن الكتاب ألف في سياق هجمات 11 سبتمبر 2001، التي أفضت إلى نقاش سياسي وإعلامي وفكري ساخن، عادة ما كان يُركز فيه على الانتماء العربي والإسلامي لمنفذي تلك الهجمات. لذلك، كان لزاما

على الكاتب أن يكشف بموضوعية عن الدواعي التي حملت أولئك الشباب على القيام بتلك التفجيرات. ومن غير الإنصاف أن يحاكم الدين الإسلامي والمسلمون قاطبة، لا لشيء إلا لأن منفذي تلك العمليات في الأصل مسلمون، علما بأن الإسلام لا يقبل أبدا مثل تلك السلوكات الإجرامية.

والغريب في الأمر، أن تلك الهجمات نفذت من طرف أناس يتمتعون بمستويات ثقافية عالية، ومعرفة كبيرة بالحضارة الغربية، حتى إن منهم من درس في جامعات غربية، كما يستخلص المفكر روبيرت فان دي فايير.[1] وهذا يحمل أكثر من رسالة للغرب الإيديولوجي الذي فقد إنسانيته في حمى الانسياق نحو مصالحه الاقتصادية والتوسعية. ولعل هذا ما يغيب في مقاربة الطاهر بن جلون الذي يتناول مسألة الإرهاب وعداء الإسلاميين للغرب في انفصال عن السياق العالمي الجديد، وما يحبل به من صراعات استراتيجية تتجاوز المفهوم التقليدي للحرب. إنه يفسر ظاهرة الإرهاب بكونها وليدة التشدد والتعصب، وأن الإسلامي يعتبر نفسه دائما الأقوى الذي يملك الحقيقة المطلقة، وعندما لا تتفق معه فإنه يصبح شريرا![2] ثم إنه يشير إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية ارتكبت بعض

---

1 Weyer, R. v. (2002). De Islam en het Westen van de kruistochten tot nu (transl. Katrien Bruyland). België- Nederland: Deltas.

2 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 8

الأخطاء التي أدت إلى قتل الأبرياء من الأطفال والشيوخ والنساء، كما حدث في العراق، غير أنه لا يربط جذور عداء الإسلاميين للغرب بهذا الاستعلاء والاعتداء الأمريكي، بل يكتفي بنعت منفذي الهجمات بالحمقى، وبأنهم "عندما كانوا صغارا تعلموا في المدارس القرآنية أن الله يدعوهم إلى قتل أعداء الإسلام كلهم، وسوف يجازيهم بالجنة".[1] ويظهر أن مثل هذا التفسير غير مؤسس، لأنه يتسم بالتعميم غير المحمود، والتعميم من التعمية، كما يقول المثل. متى كانت الكتاتيب القرآنية تلقن الأطفال قتل الآخرين وقد ظلت تشكل دعامة التعليم والتربية في المجتمعات الإسلامية قبل ظهور المدرسة بشكلها المعاصر؟ لذلك، كان من اللازم التمييز بين أنماط المدارس القرآنية، وتقريب الطفل المسلم الذي يعيش في الغرب من هذه التجربة الفريدة في التحصيل العلمي والبيداغوجي. بالطبع دون إغفال ذلك النوع من المدارس القرآنية المنغلق على قلته. فشتان بين تجربة التعليم العتيق في المغرب وبينها في مخيمات طالبان في أفغانستان!

خلاصة

هل وفّى الكاتب بما وعد به القاريء في مقدمة كتابه، الذي تجشم فيه مهمة أن يحكي قصة الإسلام والحضارة

1 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 9

العربية لأطفاله وأطفال العالم، ببساطة وموضوعية تامة؟[1]
لعل عنصر البساطة يشكل خاصية جوهرية في خطاب الطاهر بن جلون الموجه بالدرجة الأولى إلى شريحة قرائية لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال الكلام المبسط والسهل الممتنع، غير أنه في مقابل ذلك يكاد عنصر الموضوعية لا يُلمس إلا نادرا في هذه التجربة التي تهيمن عليها التأويلات الذاتية والأحكام المسبقة. ويمكن أن نستثني هنا الاستعراض التاريخي للإسهام الإسلامي في الحضارة الإنسانية، التي أمدها بمختلف العلوم والمعارف والاختراعات. ولعل من شأن هذا تنبيه الطفل المسلم في الغرب إلى الدور الحضاري للإسلام في نهضة أوروبا العصور الوسطى. لكن لم يسلم خطاب الطاهر بن جلون من جملة من المزالق الفقهية والمعرفية والتاريخية، التي كان لزاما علينا الكشف عن بعضها، ما دام أنها تنقل صورة مغلوطة ومنقوصة حول مختلف قضايا الإسلام، سواء إلى الأجيال المسلمة الصاعدة أو إلى القاريء الغربي الذي لا يملك المعرفة الكافية حول الدين الإسلامي.

1 Ben Jelloun, T. (2002). Papa, wat is een Moslim? p. 14

الفصل الخامس:
الربيع العربي بعيون هولندية

"كانت امرأة تضع أغصان الياسمين في فوهات البنادق. بمجرد ما صوبنا الكاميرا إلى ذلك المشهد، أصبحنا محاطين بحشد من الناس الذين يرغبون في رواية حكاياتهم عن الثورة".[1]

"إن الربيع العربي ليس قضية موسمية أو مسألة مرتبطة بسنوات معدودات، إن العملية التي دشنها محمد البوعزيزي لا يمكن أن تتوقف. إن جيلا بأكمله تذوق معنى الحرية، وهذا ما سوف يجعله لا يقبل أبدا بأن يُستعبد".[2]

بمجرد ما وطئت قدماه أرضية مطار قرطاج في تونس يوم 19 يناير 2011، صوب الإعلامي الهولندي يان أيكلبوم/ Jan Eikelboom عدسة كاميراه إلى ما يجري على أرض الواقع التونسي، لينقل بالملموس إرهاصات الربيع العربي التي سوف تتشعب، وتمتد ظلالها الوارفة عبر خارطة العالم العربي. وقد راح هذا الإعلامي المتخصص في إعلام الأزمات والحروب والصراعات الساخنة يلاحق تطورات الربيع العربي

1 Eikelboom, J. (2011). Arabische Lente, Een ooggetuigenverslag. Amsterdam: Balans. p. 28

2 Eikelboom, J. (2011). Arabische Lente. p. 188

في مختلف المدن العربية المنتفضة (تونس، بنغازي، طرابلس، القاهرة، الإسكندرية، دمشق)، لينسج تلك الأحداث الخطيرة والمتسارعة في شكل تقارير إعلامية حية ومصورة، تنقل مباشرة عبر النشرة الإخبارية المشهورة NOS التي تبث على القناتين الهولنديتين الأولى والثانية.

وقد سجل ووثق الإعلامي أيكلبوم أهم ملامح الربيع العربي، منذ انطلاق الثورة في تونس إلى بدايتها في سوريا، في كتاب سماه: **الربيع العربي، تقرير لشاهد عيان**. وهو يعتبر من أهم الكتب الغربية التي تناولت هذه المسألة بشكل جميل، يوفق بين أسلوب التحقيق الصحافي الميداني والمنهج التحليلي، حيث تعرض لمختلف القضايا السياسية والفكرية، كالجماعات الإسلامية، وظاهرة الاستبداد، وصورة الإسلام في الغرب، وغير ذلك. ويقع هذا الكتاب التوثيقي لظاهرة الربيع العربي في حوالي 200 صفحة موزعة على خمسة فصول، يحمل أغلبها اسم دولة من الدول التي شهدت موجة الاحتجاج والسخط الشعبي، الذي سوف يفضي إلى ما أضحى يطلق عليه في الأدبيات الفكرية والسياسية والإعلامية "الربيع العربي". وقد صففت هذه الفصول بشكل كرونولوجي واكب الخط الزمني لنشوء الربيع العربي وصيرورته وتطوره.

يشير الكاتب في الفصل الأول الموسوم بـ: ما قبل الربيع العربي إلى جانب من وضعية العالم العربي قبل هذا الحدث

التاريخي المفصلي، الذي سوف يفاجيء العالم قاطبة منذ أواخر شهر يناير 2011. وسوف تطفو منذئذ على سطح الواقع سلسلة من الأحداث التي سوف تدون في التاريخ باسم الربيع العربي. كانت البداية من تونس، ثم الجزائر، مصر، ليبيا، البحرين والعديد من دول شمال إفريقيا والشرق الأوسط، حيث خرجت الشعوب إلى الشوارع للتظاهر ضد الحكام المستبدين، الذين تمسكوا بقبضة من حديد على زمام الحكم منذ عقود طويلة. وما يسترعي الانتباه أن الكاتب يعاتب ويفضح تورط الغرب في مساندة أولئك الحكام بقوله: "حكام المنطقة ليس لهم ما يخشون منه، ما دام أنهم مساندون من كل جهة، لاسيما من قبل الغرب. إن كل من يقف في صف الولايات المتحدة الأمريكية ضد الإرهاب، لا يتلقى المال والسلاح فحسب، وإنما الورقة البيضاء كذلك لاضطهاد شعبه".[1]

بعد ذلك، يرصد الكاتب في الفصل الثاني حالة تونس، التي تعتبر تاريخيا وتعبويا مهد الربيع العربي، حيث بمجرد ما بدأت تلوح في الأفق إرهاصات ولادة ثورة بطعم تونسي، سوف يطير الكاتب نحو عين المكان ليتابع بكاميراه وقلمه ما يجري في مختلف الأماكن الحساسة، كشارع بورقيبة مثلا الذي أصبح ملاذا للشباب الثائر. هناك كان يجتمع الناس

1 Eikelboom, J. (2011). Arabische Lente. p. 7

في حلقيات متنوعة للتعبير عن آرائهم وتطلعاتهم بخصوص ما أصبح معروفا في تونس باسم "ثورة الياسمين". كما أنه سوف يتوجه إلى منزل محمد البوعزيزي في سيدي بوزيد؛ هذا الخضار الشاب الذي قدم جسده وحياته قربانا للربيع العربي. وقد أصبح منزل عائلته اليوم محجا لمختلف وسائل الإعلام العالمية، حيث تحكي الأم بعيون دامعة وفؤاد مكلوم قصة ابنها محمد "الذي ولد في 29 مارس 1984، وعندما بلغ سن الثالثة توفي والده. له ستة أخوات، بعضهن غير شقيقات؛ من عمه الذي تزوج بأمه بعد موت الوالد. مباشرة بعد تضحية محمد بنفسه تذمرا من الأوضاع المزرية نُسجت أسطورة حول شخصه، وقدم على أنه جامعي، في حين أنه لم يستمكل تعليمه الإعدادي، لأنه كان يتحتم عليه مساعدة الإسرة وإعالتها". وفي صبيحة يوم 17 ديسمبر 2010 تم إزعاج محمد من جديد من قبل الشرطة أثناء عمله في بيع الخضر، فقامت شرطية بمصادرة بضاعته وألقت الميزان على الأرض. وأكثر من ذلك، وجهت إليه سيلا من الشتائم وصفعته على وجهه! فتوجه محمد إلى حاكم المدينة لتقديم شكواه، غير أنه رفض أن يستقبله. فما كان عليه إلا أن يشتري قارورة بنزين رش بها جسده، فحدث ما حدث![1]

1 Eikelboom, J. (2011). Arabische Lente. p. 17-18

بعد تونس، تطرق الكاتب إلى الحالة المصرية، وقد خصها بشق عريض من الكتاب، أي حوالي 60 صفحة، تناول فيها مختلف الشخوص (خالد محمد سعيد، عصام)، ومختلف الأيام (يوم الغضب، يوم الرحيل)، ومختلف الأماكن (فندق الإقامة، ميدان التحرير)، ومختلف الأحداث (واقعة الجمل، حملة تنظيف ميدان التحرير، المسيرة المليونية)، كما أنه أثث هذا الفصل بمجموعة من الصور الحية والمعبرة. وقد توقف الكاتب طوال هذا الفصل عند أهمية المكون والعامل الإعلامي في ثورة مصر، لذلك سارعت السلطات المصرية منذ انطلاق الاحتجاجات إلى محاصرة الإعلام عن طريق تضييق الخناق على الإعلاميين والصحافيين واعتقالهم، وقطع الشبكات الرقمية عن الأماكن القريبة من الإعلام المساند للثورة، والتشويش المنظم على القنوات الداخلية والخارجية. في مقابل ذلك، كان المحتجون والثوار أكثر وعي بدور الإعلام في إنجاح الربيع المصري. وهذا ما يتضح بجلاء تام من خلال هذا المقطع، الذي يقول فيه الكاتب: "في ميدان التحرير كنا آمنين، وعبر مكبرات الصوت كانوا يدعون باستمرار إلى حمايتنا. كان المحتجون يتشبثون بنا وهم يقولون لنا: صوركم تحكي للعالم ما يحدث هنا، لو أنكم

غير موجودين هنا معنا سوف يقومون بقتلنا. من فضلكم، إبقوا معنا".[1]

وفي الفصل الموالي سوف يخوض الكاتب الثورة الليبية ليس على المستوى الفكري فقط، بل على أرض الواقع، وهو يقتفي أثر الثوار من مكان إلى آخر، ويشاركهم الكثير من لحظات الخطر والمغامرة على جبهات القتال. وقد استأثر الملف الليبي بحصة الأسد من الكتاب، أي بحوالي 100 صفحة، تعرض فيها الكاتب لمختلف الشخوص والأماكن والوقائع. ومنذ البداية اعتبر رحلته مغامرة نحو المجهول! لاسيما وأن الحالة الليبية انطبعت بالمواجهة الحادة بين نظام القدافي المستبد والثوار الزاحفين نحو العاصمة طرابلس. ويميز الكاتب بين الحالتين الليبية من جهة والتونسية والمصرية من جهة أخرى بقوله على لسان أحد الشخوص: "لعل الإيجابي هنا هو عدم وجود مؤسسات وبنيات، كما في مصر وتونس. هناك توجد مختلف القوى التي تريد أن تعرقل التغيير. نستطيع فعلا أن نبدأ من جديد، أن نقوم بانطلاقة جديدة. لكن كيف يتم تحقيق ذلك؟ أعتقد أن هذا ما سنعرفه بعد سنوات".[2]

1 Eikelboom, J. (2011). Arabische Lente. p. 71

2 Eikelboom, J. (2011). Arabische Lente. p. 113

وما بين 21 غشت و1 سبتمبر 2011 سوف يكون الكاتب حاضرا في طرابلس ليكون شاهد عيان على سقوطها في يد الثوار. وبعد إجلاء القذافي وطرده خارج محيط العاصمة ارتدت المدينة حلة جديدة وأنيقة، ففتحت المحلات التجارية أبوابها، ونظفت الشوارع من النفايات والقمامات، ونظمت حركة المرور من قبل رجال الشرطة، أما الناس فلم يصدقوا ما يحصل أمام أعينهم، ولم يصدقوا بأن الكابوس الذي عشش في ذاكرتهم طويلا قد انتهى.[1]

إن رحلة الكاتب لم تتوقف عند هذا الحد، بل انتقل إلى سوريا قصد توثيق الربيع السوري الذي كان في بداية تكونه، فسافر إلى هناك عبر تركيا، غير أنه سوف يفشل في دخول البلد، لأن الجمارك اكتشفت أنه صحافي يعمل لدى التلفزة الهولندية، لذلك تم رفض منحه تأشيرة الدخول. وبعد لحظات طويلة ورتيبة من التحقيق، قاده الجمركي نحو بوابة الطائرة المتوجهة إلى إسطانبول، فأودع جواز سفره لدى طاقم الطائرة على أن يسترجعه أثناء نزوله في مطار إسطانبول.[2]

هكذا تابع الإعلامي الهولندي يان أيكلبوم مجريات الربيع العربي عن كثب، وترك المواطنين البسطاء يعبرون بحرية

1 Eikelboom, J. (2011). Arabische Lente. p. 176

2 Eikelboom, J. (2011). Arabische Lente. p. 184

تامة عما يحصل، وينقلون للعالم فرحتهم العارمة بسقوط رموز الفساد، وتولي زمن الاضطهاد. كما أنه اقتفى أثر الثوار والمقاتلين على الجبهات الأمامية (لاسيما في ليبيا)، فتمكن من تصوير الكثير من مشاهد الصراع والمعاناة والصمود ضد العدو الذي لا يرحم.

إن كتاب الربيع العربي يشكل شهادة واقعية وموضوعية عن حقيقة الإنسان العربي المسلم المتعطش إلى الحرية والعدالة والديمقراطية، عززها الكاتب بشتى المواقف والحكايات والمشاعر والصور التي وثقها طوال شهور عديدة من الترحال عبر مختلف المدن والبراري في تونس ومصر وليبيا وسوريا. وهكذا تمكن هذا الإعلامي الهولندي الجرئ من أن يتتبع بشكل تدريجي ودقيق مسار الربيع العربي، بشتى تفاصيله وتطوراته وخلفيات الشعوب العربية الأبية والكريمة، التي عاش بين ظهرانيها أياما وأسابيع وشهورا، ليكتشف حقيقتها المطموسة في الإعلام الغربي المهيمن. لذلك فإن قيمة هذا الكتاب تكمن بالدرجة الأولى في أنه شهادة واقعية بعيون غربية، حول أعظم حدث سياسي تشهده المنطقة العربية في تاريخها المعاصر.

وفضلا عن ذلك، فإن أهمية ما وثقه الإعلامي الهولندي يان أيكلبوم لا تتحدد فقط في القصص المشوقة والأخبار المثيرة، التي نقلها من براري ليبيا وشارع الحبيب بورقيبة وميدان التحرير وغيرها، وهي تتلبس أحيانا بالطابع

الأسطوري الغرائبي الذي من شأنه أن يستثير ذائقة القراءة لدى القارئ الغربي، بل إن أهمية ذلك تتمثل في تصحيح الكثير من الصور النمطية السلبية حول الشعوب العربية والإسلامية الساعية إلى تحقيق الأهداف الإصلاحية نفسها، التي يحلم بها أي إنسان في العالم، وهو ينصف بذلك هذه الشعوب التي عانت وتعاني من الاضطهاد والقمع والتهميش منذ أكثر من نصف قرن. ولعل ما يزكي هذه النظرة هو ما ورد على لسانه في حديث مع سائق ليبي: *"منذ انطلاق الربيع العربي صار الكثير منا (يقصد الغربيين) ينظرون إليكم بشكل مغاير. نحن نرى هنا أن الناس يطمحون بالضبط إلى ما نطمح إليه نحن: إلى حياة كريمة ولائقة".*[1]

1 Eikelboom, J. (2011). Arabische Lente. p. 143

الفصل السادس:
بالقلم نتصدى للتطرف لا بالحرب

مرافعة من أجل التعليم

"*دعونا نحمل كتبنا وأقلامنا، فهي أسلحتنا الأقوى. طفل واحد، معلم واحد، كتاب واحد وقلم واحد يمكن أن يغير العالم*."[1] بهذه العبارات البليغة صدحت الناشطة والفاعلة المدنية الباكيستانية ملالا يوسفزي Malala Yousafzai داخل مبنى الأمم المتحدة في نيويورك وعمرها لم يتجاوز بعد السادسة عشر. في سيرتها الذاتية المثيرة: **أنا ملالا الفتاة التي ناضلت من أجل التعليم وأطلق عليها طالبان النار**[2] تنسج عوالم بطلة "بَشتونية" أفدت بطفولتها وبحياتها للفقراء من أطفال مسقط رأسها وادي "سوات" شمال غرب باكستان، حيث نشأت وترعرعت عبر بلداته وتضاريسه وطبيعته الساحرة الخلابة، التي جعلته يستحق نعت "سويسرا باكستان". وقد شاء القدر أن

1 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala, the Girl Who Stood up for Education and was Shot by the Taliban. New York: Back Bay Books. p. 310

2كتب النص الأصلي لهذه المراجعة باللغة الهولندية ونشر من قبل مؤسسة KifKif. ينظر الرابط: https://kifkif.be/cnt/artikel/terrorisme-pak-je-niet-aan-met-oorlog-wel-met-onderwijs-8057، تم التصفح بتاريخ 16 ديسمبر 2019.

تترسخ عزيمة ملالا النادرة أمام غدر التطرف، ويستمر نضالها المستميت رغم شتى أصناف التهديد النفسي والبدني، ويلقى نداؤها العالي آذانا صاغية، لاسيما في وسائل الإعلام والدوائر السياسية الغربية. وفي آخر المطاف، سوف يتوج جهدها الرائد المنصب على أهمية المدرسة والتعليم بوجه عام، وعلى تعليم الإناث وحقوق المرأة بوجه خاص، بنيل جائزة نوبل للسلام في أكتوبر 2014 لتكون أصغر متوج في تاريخ هذه الجائزة الرفيعة المستوى.[1]

عبر أكثر من ثلاثمائة صفحة يضعنا كتاب **أنا ملالا** في معترك مختلف الأحداث والقضايا التي تتجاوز السيرة الذاتية إلى التاريخ والدين والمجتمع، وتنطلق من الأنا إلى الآخر المتعدد الذي قد يكون قريبا (الأب، العائلة، القبيلة، الوطن...) أو بعيدا (الغرب)، متسامحا (المعلمون، زملاء القسم، طاقم المستشفى...) أو مهددا (الملالي، طالبان). وما يسترعي النظر أيضا أن السرد في هذه السيرة الذاتية حافظ على تسلسله العمودي الكرونولوجي بشكل دقيق، رغم تقاطع ما هو تاريخي مع ما هو أسطوري تارة، ومع ما هو واقعي طورا. إن الكاتبة وهي تنسج تفاصيل حياتها تحيل في أعقاب ذلك على تاريخ قبيلتها "البشتون" من جهة وعلى

1ينظر الموقع الرسمي لملالا يوسفزي: https://www.malala.org/، تم التصفح بتاريخ 16 ديسمبر 2019.

تاريخ وطنها باكستان من جهة ثانية، ويقتضي منها ذلك السفر العميق أحيانا في الماضي البعيد أو القريب، حتى يكاد خيط الحكي الأصلي ينفلت من القاريء، ثم تعود بعد ذلك من جديد إلى تفاصيلها الذاتية اليومية.

بالإضافة إلى التاريخ يحضر العنصر الأسطوري خصوصا عندما تستحضر الكاتبة بعض الأسماء والشخوص (الإكسندر الأكبر، ملالا، جوبيتر، كول مكاي...)، وتنقل أنها تلقت في المدرسة أن الإكسندر الأكبر تمكن في 327 قبل الميلاد من أن يبلغ قمم جبال "سوات" الشاهقة ويلمس كوكب جوبيتر المعروف بالمشترى.[1] ثم إنه لا يمكن صرف النظر في هذا العمل الأدبي عن الجانب الديني الذي يحضر من خلال جملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحاول الكاتبة أن تقدمها بالصيغة الموثوقة التي تؤكدها سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهي صيغة تتعارض سواء مع القراءة التقليدية المتوارثة داخل المجتمع "البشتوني" أو مع القراءة المتطرفة التي تنشرها حركة طالبان وأتباعها عن طريق العنف والترهيب والقتل.

ضمن هذا الزخم التاريخي والموضوعي تظل الكاتبة مسكونة بمسألة التعليم، وهي تدرك أن خلل المجتمع وانحطاطه لا يمكن تفسيره إلا بفقر التعليم وهيمنة التفكير

1 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala. p. 19, 176

"الملالي" المنغلق ومنع المرأة من التمدرس، ولا يمكن تجاوز هذه الوضعية الاجتماعية والتربوية المتردية إلا عبر التوعية الصحيحة التي من شأنها أن تفتح مغالق الفهم لدى العوام، وعبر التعليم العادل الموجه للذكور والإناث على حد سواء، دون أي تمييز أو إقصاء للمرأة، كما هو الحال في التقاليد البشتونية التي ترى أن مكان المرأة الحقيقي هو البيت، أو في تأويلات طالبان المتشددة التي تمنع المرأة من الخروج والتمدرس. لذلك فإن الهدف الجوهري من هذا الكتاب كما توضح الكاتبة هو: "رفع صوتي نيابة عن ملايين الفتيات في جميع أنحاء العالم اللائي يحق لهن الذهاب إلى المدرسة والتعبير عن قدراتهن. أرجو أن تلهم قصتي الفتيات لرفع أصواتهن واحتضان القوة في أنفسهن، غير أن مهمتي لا تنتهي هناك. إن مهمتي، أو بالأحرى مهمتنا، تقتضي أن نعمل بحزم على تعليم الفتيات وتمكينهن من تغيير حياتهن ومجتمعاتهن."[1]

بين مطرقة التقاليد وسندان التطرف

ترى الكاتبة أن أمية أمها التي لم تتلق أي تعليم أولي ربما السبب الذي جعلها تحفز ابنتها دوما على الذهاب إلى المدرسة؛ "لا تغفلي مثلي وبعد سنوات تدركين أنه فات الأوان".[2] وهذا ما ينطبق أيضا على أبيها ضياء الدين المثقف

1 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala. p. 327

2 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala. p. xiv

المشهور الذي ظل يناضل طوال حياته من أجل تعليم حداثي للأجيال الصاعدة دون أي تمييز بين الذكور والإناث. ومن أجل ذلك انخرط في العمل التربوي والنقابي على مستوى "سوات" وخارجها، وتمكن بإمكانيات ذاتية هزيلة من أن يؤسس مدرسة رائدة يضرب بها المثل في المنطقة، رغم شتى التهديدات التي كان يتعرض لها من قبل أتباع حركة طالبان. تقربنا ملالا من قصص واقعية عجيبة عن كرم والدها تجاه أبناء الفقراء الذين كانوا يدرسون ويتلقون المأوى والطعام في مدرسته مجانا. ذات يوم رأت أثناء عودتها من المدرسة أطفالا ينبشون الأزبال، فتوسلت إلى أبيها بأن يذهب معها ليراهم ويتكلم معهم، غير أنهم لاذوا بالفرار. فخاطبها أبوها موضحا أن أولئك الأطفال يجمعون بعض الأغراض لبيعوها مقابل روبيهات قليلة. أثناء العودة إلى المنزل لاحظت الدموع تنزل من عيني أبيها تأثرا بأحوال أولئك الأطفال البؤساء. توسلت إليه لأن يخصص لألئك الأطفال المشردين أماكن في مدرسته كما سبق أن صنع في الماضي، إذ منح أماكن لعدد من الفتيات.[1]

وقد أثر إحسانه إلى أبناء الفقراء سلبا على مداخل المؤسسة جراء انسحاب بعض تلاميذ الأسر الميسورة بمجرد ما أدرك آباؤهم أنهم يدرسون مع أبناء وبنات الفقراء الذين

1 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala. p. 81

ينظفون منازلهم أو يخيطون ملابسهم. فهم يعتقدون أنه من العار أن يختلط أبناؤهم مع أبناء الأسر الفقيرة. وكان من الصعوبة على التلاميذ المعوزين أن يستمروا في الدراسة بسبب عدم وجود الطعام الكافي في بيوتهم، لذلك كانت تأتي بعض الفتيات إلى منزلهم لتناول وجبة الفطور، وكان أبوها يقول مازحا أن منزلهم أصبح بمثابة داخلية. ومع ذلك سوف يستمر أبوها في تخصيص أكثر من مئة مقعد لتلاميذ الأسر الفقيرة من بين 800 تلميذ الذين كانوا يشكلون العدد الإجمالي لمدرسته الخصوصية.[1]

فضلا عن ذلك، فإن التحدي الأكبر الذي سوف يهدد استمرارية التعليم في وادي "سوات" هو حركة طالبان التي أصبحت تسيطر هناك على مجموعة من الجيوب والمناطق الجبلية، وكان يتزعمها فضل الله الذي عرف بأفكاره المتطرفة خصوصا المتعلقة بتدريس الفتيات، وكان يبث هذه الأفكار عبر "إذاعة المولا" التي كانت تغطي مختلف المناطق، ما مكنها في وقت وجيز من نشر خطاب حركة طالبان المتشدد بين الشباب الذين صاروا ينخرطون بالآلاف في الجهاد ضد القوات الباكستانية وضد الجنود الأمريكيين سواء في باكستان أو في أفغانستان. وفي الوقت نفسه، كان أتباع

1 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala. p. 82-83

طالبان يبثون الخوف في نفوس المواطنين غير الموالين لهم ويرغمون الفتيات على الانقطاع عن الدراسة.

وتذكر الكاتبة أنها كانت في حيرة من كلام فضل الله الذي يحظر على المرأة الدراسة والخروج، لأنه يتعارض مع القرآن الكريم الذي لا يتضمن أي إشارة إلى أنه يسمح للرجل أن يخرج، بينما على المرأة أن تعمل طوال اليوم في المنزل. بل إن الزوجة الأولى للنبي صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها كانت سيدة أعمال وكان عمرها أربعون سنة، وسبق لها أن كانت متزوجة، ومع ذلك فقد تزوجها النبي. وهذا ما يسري على نساء البشتون القويات، إذ تحكي لها أمها أن جدتها قامت برعاية جميع أطفالها الثمانية وحدها بعد أن تعرض جدها لكسر في الحوض سبب له عجزا طوال ثماني سنوات.[1]

ولعل هذه النظرة الدونية إلى المرأة لا تتعلق فقط بطبيعة القراءة الإيديولوجية المتطرفة لبعض النصوص الدينية، كما تصنع حركة طالبان وغيرها من التيارات المتشددة، بل بطبيعة المجتمع البشتوني حيث تترسخ جذور هذه النظرة التي تتعارض مع الإسلام الذي حرر المرأة من عبودية الجاهلية، وأعطاها من الحقوق ما كانت تفتقده في المجتمعات الأخرى التي تزامنت مع ظهور الإسلام وصعوده.

1 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala. p. 116

فقصة جدتها الصامدة والمثابرة يمكن أن تشكل دليلا على دور المرأة في المجتمع البشتوني، غير أن هذا لا يعني أن وضعية المرأة هناك كانت على أحسن ما يرام، فالكاتبة نفسها تحكي أنها عندما ولدت رثت نساء القرية حال أمها، وأن أحدا لم يهنيء والدها، الذي لم يكن يملك من المال ما يسدد به نفقة المستشفى وينظم به حفل العقيقة، لا لشيء إلا لأنها ولدت في بلد حيث تطلق البنادق للاحتفال بالمواليد الذكور، في حين يتم إخفاء البنات وراء الستار، إذ لا دور لهن في الحياة إلا طهي الطعام وإنجاب الأطفال.[1] وهذا ما يتجلى بشكل واضح في تربية الأبناء داخل الأسر، حيث كفة المفاضلة الاجتماعية كانت تميل دوما لصالح الذكور. تسرد الكاتبة أن عماتها لم يحرمن فقط من حق التمدرس، بل من مختلف الامتيازات داخل المنزل أيضا، فأبوها كان يتناول فطورا غنيا بالزبادي والبيض والشاي، بينما أخواته الإناث لا يتناولن إلا الشاي. وأثناء وجبة العشاء كان يحظى بأحسن ما في الدجاج وهو الصدر، في حين يتلقين الأخوات الأجنحة والعنق. ونتيجة ذلك، كان أبوها يشعر منذ البداية أنه مختلف عن أخواته.[2]

1 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala. p. 13

2 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala. p. 29

التعليم في مواجهة التطرف

إن طبيعة النظرة الاجتماعية إلى المرأة جعلت ملالا منذ البداية تدرك أن مفتاح التغيير يتحدد في تعليم المرأة وتمدرسها، ربما اكتسبت هذا الإدراك من خلال مصاحبتها لأبيها الذي يعتبر أحد رواد النضال التربوي على مستوى منطقة "سوات"، وسوف تنشحذ هذه الملكة من خلال قراءتها المتواصلة ومثابرتها في الدراسة ومشاركتها في مختلف الأنشطة المدرسية، وقد عبرت عن ذلك في أغلب فصول وفقرات الكتاب، حتى صار هاجس التربية والتعليم بمثابة الخيط الرفيع الذي ينظم مختلف الموضوعات والقضايا المطروحة. جلست ذات مرة بجانب السفير الأمريكي ريتشارد هولبروك، الموفد إلى باكستان وأفغانستان، فسألها عن عمرها الذي كان لا يتجاوز وقتئذ الثانية عشر. توسلت إليه وهي تلتمس منه أن يساعد الفتيات على تلقي التعليم. رد عليها ضاحكا وهو يردد ما مفاده أنه ثمة الكثير من المشاكل، وأنهم يقومون بالكثير من أجلهم، وأن ملايير الدولارات تم ضخها في الاقتصاد الباكستاني من أجل تأهيل البنيات التحتية، غير أن الحكومة لا تزال تواجه الكثير من التحديات.[1]

ومع مرور الأيام، سوف تخوض ملالا النضال من أجل تعميم التعليم المدرسي على الفتيات، وذلك عبر مختلف

1 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala. p. 184

الآليات كالإعلام واللقاءات التواصلية والزيارات الميدانية للمدارس وغير ذلك. تحت الاسم المستعار "كول مكاي" كانت تكتب وهي في سن الثانية عشر يوميات لقناة البي بي سي عن تفاصيل حياتها تحت سيطرة تنظيم طالبان على وادي "سوات". ومما عبرت عنه أمام حظر طالبان تعليم البنات أنه لن يستطيعوا مهما كانت أحوال منعها من متابعة دراستها، وأنها سوف تتلقى تعليمها في البيت أو في المدرسة أو في أي مكان آخر، ما دام أن الإسلام يمنح هذا الحق للذكور والإناث على حد سواء، والقرآن يقول أنه يجب علينا تحصيل العلم والمعرفة.[1] لذلك، تلتمس من العالم أن يحفظوا مدارسهم من زحف فكر طالبان المتطرف الذي يعارض التعليم، لأنه يزعم أنه عندما يستطيع الطفل قراءة كتاب أو تعلم الإنجليزية أو دراسة العلوم فإنه سوف يتغرب. فالتعليم ليس شرقيا ولا غربيا، بل إنساني، على حد تعبيرها.[2]

ومن المشاهد المعبرة التي سجلتها في ذاكرتها وهم يعبرون منطقة في ريف باكستان، أنها رأت على الطريق فتاة تبيع البرتقال، وكانت تخط علامات بمسمار على قصاصة ورق، وهي تحاول تحديد مبلغ البرتقال الذي باعته، لأنها لم تكن تعرف القراءة والكتابة. التقطت صورة لها، وتعهدت بأن

---

1 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala. p. 154

2 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala. p. 161-162

تعمل كل ما في وسعها للنضال من أجل تعليم الفتيات، فهذه هي الحرب القادمة التي سوف تخوضها![1]

إنها حقا حرب حقيقية، سوف يشتد فيه ضغط حركة طالبان على المنطقة إعلاميا وميدانيا ضد كل خطاب يعارض أفكارهم الإيديولوجية، وإن كان يمتح من القرآن ويستند إلى السنة النبوية. فكانت البداية الفعلية عندما تلقى أبوها ضياء الدين تهديدا مباشرا من فصيل الحركة في المنطقة عبر رسالة وضعت في مدخل المدرسة، وقد جاء فيها: "سيدي، المدرسة التي تديرها ذات طابع غربي وكافرة، فأنت تعلم البنات بزي غير إسلامي. توقف عن هذا الأمر وإلا سوف تكون في مأزق وسوف يبكيك أطفالك." تم توقيعه من طرف "فدائيو الإسلام".[2] ومع مرور الأيام سوف تترجم مثل هذه التهديدات على أرض الواقع، حيث سوف تفجر أول مدرسة حكومية للبنات في مدينة "متا"، وبحلول نهاية سنة 2008 كانت حوالي 400 مدرسة قد دمرت على آخرها.[3]

وسوف يلي ذلك تهديد أشد تضمنته رسالة ثانية، وبالتحديد بعد اغتيال محمد فاروق، الذي يعتبر أحد أهم الوجوه العلمية والإصلاحية في جامعة "سوات" وفي حزب الجماعة الإسلامية. وقد وصف أبوها ضياء الدين في أحد

---

1 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala . p. 217

2 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala. p. 121-122

3 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala. p. 137, 144

التجمعات رأس طالبان في المنطقة فضل الله بزعيم الشياطين متسائلا: لماذا لم يتم القبض عليه إلى حد الآن؟ وعقب هذا الحدث مباشرة تلقى رسالة من شخص مجهول، ورد فيها أنه رغم أنه ابن فقيه، إلا أنه ليس مسلما حقيقيا، فالمجاهدون سوف يعثرون عليه في أي مكان. ما جعل حياتهم تشهد اضطرابا كبيرا، غير أن أباها لم يستسلم لمثل هذه التهديدات التي سوف تتوالى، بقدر ما واصل أنشطته النضالية والتوعوية.[1]

وبعد تصاعد إرهاب طالبان الذي لم يقتصر على التخويف النفسي، بل انتقل إلى التنكيل الميداني من خلال اغتيال الشخصيات المعروفة وتدمير المدارس والمعاهد وممارسة حظر التجول وقطع الطرقات وتفتيش المنازل، سوف تكون الضحية الموالية ليس السيد ضياء الدين كما كان الجميع يتوقع، بل ابنته ملالا، التي تعرضت يوم الثلاثاء 9 أكتوبر 2012 لمحاولة اغتيال في الحافلة أثناء عودتها من المدرسة إلى البيت. وسوف يشكل ذلك الحدث نقطة تحول في حياتها؛ لأنها نجت بأعجوبة من الموت المحقق بعد أن أفرغ المسلح فيها ثلاثة رصاصات، استقرت إحداها في الجانب الأيسر من رأسها على بعد مليمترات من الدماغ، ما أفقدها الوعي طوال أيام، وعندما استفاقت من غيبوبتها

1 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala . p. 204, 209

وجدت نفسها في مستشفى الملكة إليزابيث في مدينة برمنغهام في إنجلترا، حيث سوف تتعافى مع مرور الأيام، لتبدأ حياة جديدة مع أسرتها تنقلها من وادي "سوات" المحاصر من طرف طالبان إلى محافل حقوق الإنسان، أين سوف ترافع من أجل الطفولة وحقوق المرأة والفتيات على المستوى العالمي.[1]

هكذا، يبدو من قراءتنا لمؤلف **أنا ملالا** أن مسألة التعليم تشكل الموجه الجوهري لهذه التجربة النضالية الفريدة من نوعها، لذلك ارتأيت أن تركز مراجعتي على موضوع التعليم بكونه الهاجس الذي يسكن كل حرف، وكل كلمة، وكل فقرة، وكل فصل من هذا الكتاب، وهو يعكس بذلك أزمة عارمة في الفهم والتأويل والواقع لا يمكن تفكيكها إلا عبر آلية التعليم العادل والمتكافئ الذي من شأنه أن يهيء أجيالا مسالمة ومتسامحة تؤمن بالكلمة والمعرفة والرأي الآخر. وهذا ما شددت عليه ملالا عندما دعيت من قبل الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما إلى البيت الأبيض، فوضعت شرطا واحدا لقبول الدعوة، وهي أنه إذا كانت مجرد جلسة لالتقاط الصور فلن تذهب، ولكن إذا كان الرئيس مستعدا للاستماع بجدية إلى ما في قلبها، فإنها سوف تقبل. وهكذا استجيب لطلبها، وسمح لها بأن تتكلم بحرية

1 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala . p. 243-309

تامة دون أي شروط أو شكليات مسبقة، فتحدثت عن أهمية التعليم، وعن دور الولايات المتحدة الأمريكية في دعم الديكتاتوريات في بلدان مثل باكستان، ثم أخبرت الرئيس أنه بدل التركيز على القضاء على الإرهاب من خلال الحرب، ينبغي التركيز على القضاء عليه من خلال التعليم.[1]

1 Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala . p. xix, xviii

الفصل السابع:
دعوى الإسلام العقلاني في السياق الأوروبي

مقدمة

إن كتاب **هل هذا هو الإسلام الآن؟** يسعى إلى الإجابة عن أسئلة المرحلة الإشكالية كما يعبر الكاتب نفسه، وهي ماذا نعني بالإسلام اليوم؟ من يمثل أو بالأحرى من يمكن أن نعتبره الممثل الحقيقي للإسلام؟ هل الإرهابيون الذين يقتلون الأبرياء باسم الدين أم شيعة الأسد وإيران أم سنة السعودية وثوار سوريا أم ملايين المسلمين الذين يريدون العيش في سلام والتعايش مع الآخرين؟ ترى من يملك الحقيقة؟ ومن ينبغي لنا أن نصدق؟

سعيا منه إلى صياغة بديل واقعي وموضوعي للوضعية المزرية التي ما انفك يتخبط فيها المسلمون؛ داخليا وخارجيا، شرقا وغربا، يعتقد الكاتب أن الحل هو الإسلام العقلاني، سواء من خلال العودة إلى أمجاد الحضارة والفلسفة والمعرفة الإسلامية أو عبر اللحاق بالحضارة الغربية المتقدمة والتعايش البناء من الآخرين.

نحاول في هذه المراجعة التريث عند عنصرين جوهريين يمتان بصلة وثيقة إلى موضوع الإسلام السياسي، أحدهما مفهوم الإسلام العقلاني الذي يطرحه الكاتب بديلا للإسلام

الأوروبي والتنويري والمعتدل، والآخر رؤية الكاتب حول مختلف تيارات الإسلام السياسي من سلفي وإخواني وجذراني وغيره. وقبل الشروع في تناول هذين الجانبين نمهد لذلك بفقرات حول الكاتب والكتاب حتى نقرب القراء والمهتمين من طبيعة الطرح الفكري الذي يتبناه المثقف والإمام الأستاذ خالد بنحدو ويرافع من أجله في مختلف المناسبات الثقافية والدينية والمحافل السياسية والتربوية.

مثقف عقلاني في جبة إمام!

انطلاقا من الكتاب الذي نضعه اليوم بين أيديكم يمكن أن نتبين بعض ملامح مؤلّفه خالد بنحدو[1] بكونه أحد المهتمين بالشأن الإسلامي على المستوى البلجيكي، وقد أهلته وظيفته منسقا للتعليم الإسلامي لدى وزارة التعليم والتكوين لأن يؤدي دور المستشار لدى الهيآت التربوية والسياسية والقانونية، لاسيما في قضايا التدين والتطرف والإرهاب. وهذا لم يجعله يتخلى عن مهمته الدينية الأصلية كإمام متنور وخطيب معاصر. يحكي عن بدايات تحصيله الدراسي قائلا: "عندما حفظت القرآن عن ظهر قلب كنت أبلغ من العمر تقريبا ثلاثة عشر سنة. وكان ذلك باللغة العربية، وهي اللغة التي لم أتعلمها في المسجد إلا لما بلغت

---

1 ينظر الموقع الرسمي للكاتب خالد بنحدو على الرابط: https://khalidbenhaddou.be/، تم التصفح بتاريخ 16 ديسمبر 2019.

الثامنة، حيث كان أبي المحافظ يرسلني لتلقي قيم وعادات دينه الإسلام. أبي هاجر في ستينيات القرن الماضي من المغرب إلى بلجيكا في إطار ما يعرف بالعمال الضيوف، وقد التحقت به أمي فيما بعد. عمل أبي طوال ثلاثين عاما في البستنة. أما أمي فكانت ربة بيت ترعى أسرة من ثمانية أطفال".[1]

وبعد أن حفظ القرآن عن ظهر قلب ودرس العلوم الشرعية في المركز الثقافي الإسلامي في بروكسيل الذي أسسته المملكة السعودية في ستينيات القرن الماضي، سوف يعين إماما خطيبا، ولم يكن قد تجاوز بعد الثامنة عشر من عمره، وقد كانت تجربة مفصلية في حياته، يقول عن ذلك: "بعد ثماني سنوات من الدراسة في المركز، يمكن لي أن أسمي نفسي إماما. تقريبا عقب ذلك مباشرة وكان عمري ثمانية عشر سنة تم توظيفي إماما في المسجد، وكان يجب علي أن ألقي خطبة الجمعة لأول مرة، حيث شعرت بعدم الثقة والارتياب. أجل أحفظ القرآن باللغة العربية عن ظهر قلب، لكن كان يتحتم علي الترجمة إلى اللغة الهولندية. متلعثما ومرتجفا وقفت لأول مرة وأنا أخطب في ملأ غفير، وأنا أدرك أهمية الدور الذي يمكن أن ألعبه، بل وأدرك أنها

1 Benhaddou, K. (2016). Is dit nu de islam? Gent: Borgerhoff en Lamberrigts. p. 13-14

مهمة كبيرة أن أقف بكلا رجلاي في المجتمع ولا أزال".[1] وتجدر الإشارة إلى أن المركز الإسلامي الذي درس فيه الأستاذ بنحدو رغم أنه كان تابعا للتيار الوهابي السلفي المدعوم من المملكة العربية السعودية، إلا أن تأثير السلفية كان ضئيلا على المستوى التعليمي، لأن أغلب المدرسين كانوا من أصل مغربي، يختلفون في الكثير من القضايا العقدية والفقهية عن السلفية الوهابية بالخصوص.[2]

ويحضر بنحدو من خلال الأنشطة والمحاضرات واللقاءات المتنوعة التي يساهم بها بانتظام على مختلف المستويات الدينية والتربوية والإعلامية، ما يجعل أفكاره تنتشر بشكل أو بآخر عبر وسائل الإعلام الفلامانكية، وكان من اللازم أن يصوغها في رؤية متكاملة ومتوازنة، وهكذا جاءت فكرة كتابه الأول، الذي نحن بصدد مراجعته؛ "عندما عرضت علي دار النشر تأليف كتاب حول الأسئلة والإشكاليات السابقة رأيت في ذلك نوعا من التحدي، وفي الوقت نفسه فرصة رائعة لصياغة أفكاري في قالب ما. فالإسلام يشكل دوما جزءا لا يتجزأ من حياتي؛ مصدر إلهام ومثالا حيا. إن فرصة توضيح الإسلام ورصده من خلال السياق الأوروبي حيث أعيش اليوم، لا يمكن تجاهلها. بل إنها أمر لا بد منه".[3]

1 Benhaddou, K. (2016). p. 14-15

2 Benhaddou, K. (2016). p. 14

3 Benhaddou, K. (2016). p. 8

كيف أنظر أنا المسلم الأوروبي إلى المستقبل؟

يحمل هذا الكتاب عنوانا رئيسا: **هل هذا هو الإسلام الآن؟** يليه عنوان فرعي وتفسيري فحواه: *كيف أعيش مسلما أوروبيا في الزمن المعاصر*. ويتكون الكتاب من 175 صفحة من الحجم الكبير، تتوزعه أربعة فصول حول الإسلام العقلاني، الأوجه المتعددة للإسلام، مواجهة التطرف وتأويل القرآن، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة. يحاول الكاتب أن يتوجه من خلال رؤاه وأفكاره إلى جمهور واسع من القراء. وهو يقدم نفسه بكونه مسلما باحثا (عن الحقيقة) لصالح مجتمعه الإسلامي، وفي الوقت نفسه يسعى إلى صياغة إطار مفهومي لغير المسلمين.[1] وفضلا عن ذلك، فإنه يشدد على الدور التوفيقي الذي يمكن له أن يؤديه في المجتمع، "عندما أصبحت إماما في أكبر مسجد بمدينة خانت شكل لي ذلك أول منبر مهم لأؤدي دوري التوفيقي".[2] وهكذا جمّد الكاتب الكثير من أنشطته، فلم يعد يقبل مختلف الدعاوى التي تأتيه، لا لشيء إلا لأنه أصبح يدرك أن مهمته من اليوم فصاعدا هي فهم ميكانيزمات وبنيات الثقافة الأوروبية، حتى يمكن ربط القيم الإسلامية بها. ثم اكتشاف العلاقات

1 Benhaddou, K. (2016). p. 8

2 Benhaddou, K. (2016). p. 19

القديمة بين الغرب والشرق، التي من شأنها أن تساعد على مد الجسور بين العالمين.[1]

في نقد الإسلام الأوروبي والتنويري والمعتدل

ما يسترعي الانتباه أن الكاتب ينتقد بشدة مختلف أنماط التدين والتفكير الإسلامي لصالح ما يطلق عليه الإسلام العقلاني، فهو لا يرفض فقط الإسلام السياسي بمختلف تمظهراته السلفية والإخوانية والراديكالية، بل أيضا غيرها من "الإسلامات" إن جاز التعبير، كالأوروبي والتنويري والمعتدل. يقول في نقضه للإسلام الأوروبي: "أنا أوروبي ومسلم، لكن الإسلام الأوروبي يعني أن هناك عالما مزدوجا يتكون من أوروبا من جهة ومن كل ما هو خارجها ويمكن أن يشكل تهديدا ما من جهة أخرى. عندما نتحدث عن الإسلام الأوروبي نرسخ تلك الثنائية أكثر ونزرع التوترات بين الجانبين. وهكذا سوف يترتب عن ذلك نشوء أصناف مختلفة من الإسلام، فيصبح ربما تأثير البلدان الأصلية على المسلمين الأوروبيين أكبر. كما أن العولمة والإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعية سوف تساهم في جلب النسخ المتشددة من الإسلام إلى أوروبا، وهذا ما يؤدي إلى عكس ما تسعى

1 Benhaddou, K. (2016). p. 16

إليه أوروبا، فيصبح الشرخ عميقا مع الإسلام في الأوطان الأصلية. إن مصطلح الإسلام الأوروبي مفهوم غير مؤسس".[1]

وعلاوة على ذلك، فإن مفهوم الإسلام الأوروبي يحضر بشكل كبير في أجندة بعض القوى الأوروبية، حتى إن بعض المسلمين يشعرون وكأن الإسلام الأوروبي فرض عليهم. فالمسلمون الذين يوجدون على الهامش ولا يجدون منفذا إلى بنيات القرار الأوروبي ينظرون بارتياب إلى ذلك، لأنهم الطرف المغيب في هذا النقاش، الذي لا يُستفتى في طبيعة الإسلام الأوروبي. لذلك ألغى الكاتب بوعي مصطلح الإسلام الأوروبي من قاموسه الخاص، وهو يجزم بأن الإسلام العقلاني الذي يرافع من أجله هو الأنسب لأوروبا بشكل عفوي.[2]

ومع كل هذا النقد لمفهوم الإسلام الأوروبي، إلا أن محاولة الكاتب لا يمكن فصلها في آخر المطاف عن دائرة الإسلام الأوروبي، الذي يشكل جزءا لا يتجزأ منه، سواء على مستوى السياق أو التصور. فالحديث عن إسلام أوروبي لا يمكن أن يشكل أي توتر أو ثنائية مع أوروبا بقدر ما يرسخ ذلك الطابع الإيجابي والتراكمي الذي اكتسبه المسلمون الأوروبيون من خلال استقرارهم الطويل في البلدان الأوروبية، وانتقالهم من مرحلة الهجرة إلى مرحلة المواطنة. على مستوى التصور يرسخ

1 Benhaddou, K. (2016). p. 34-35

2 Benhaddou, K. (2016). p. 35, 36

مفهوم الإسلام العقلاني الإرث الرشدي الذي انتقل عبر الأندلس إلى أوروبا، فشكل أحد دعامات التنوير والحداثة الغربيين، وهكذا فإن هذا المفهوم يعضد الدور الحضاري للإسلام على أوروبا، أو ما يسميه وليام مونتغمري وات "فضل الحضارة الإسلامية على أوروبا".[1]

ولا يكتفي بنحدو بدحض الإسلام الأوروبي، بل يوضح بأن مرافعته للإسلام العقلاني لا تعني العودة إلى الإسلام التنويري. فعادة ما يسمع أن الإسلام يحتاج إلى تنوير، بالضبط كالذي شهدته أوروبا، لكن ما يغيب عن أولئك هو أن التنوير مرحلة خاصة في التاريخ، وقد ظهرت للإجابة عن جملة من الأسئلة التي كانت تطرح في ذلك الزمان. إنها رد فعل على السلطة الدينية الدوغمائية. فالفلاسفة والعلماء آمنوا بقوة العقل لتحقيق التطور. وهكذا شكل التنوير مسارا اجتماعيا كانت أوروبا في أمس الحاجة إليه. ما أدى إلى نشوء حداثة واسعة على أساسها قامت حقوق الإنسان، حقوق المواطنين، النسوية، التحرر، العلمانية، العولمة، وأيضا الفردانية.[2] غير أنه ماذا عن التنوير الذي شهده العالم الإسلامي عندما كانت أوروبا تتخبط في ظلام العصور

1مونتجومري وات. (1403-1983). فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ط1 (ترجمة: حسين أحمد أمين). القاهرة: مكتبة مدبولي.

2 Benhaddou, K. (2016). p. 36

الوسطى وسوف يشكل لاحقا الأساس الذي قامت عليه النهضة الغربية؟

إذا كان الإسلام الأوروبي يشطر المجتمعات الأوروبية إلى أجزاء متنافرة وثنائيات متضادة، وإذا كان التنوير ليس إلا مرحلة تاريخية تحسب على الماضي، فإن الإسلام المعتدل حمال أوجه، فهو يخفي عكس ما يظهر، لذلك لا يمكن أن يكون هناك إسلام معتدل. "لا، لأن مصطلح المعتدل لا يخفي إلا ما لا ينبغي أن يكون، بالتحديد الإسلام الراديكالي، لكنه لا يكشف شيئا عما يجب أن يكون"،[1] على حد تعبير الكاتب. هكذا يقابل الكاتب إذن بين الإسلام المعتدل والإسلام الراديكالي أو الجذراني دون أن ينتبه إلى أن المفهوم الأول يستمد شرعيته من القرآن الكريم الذي يدعو إلى الاعتدال والوسطية والسلم؛ وهي شرعية إلهية قبل كل شيء. في حين أن مفهوم الإسلام الراديكالي هو مفهوم إيديولوجي بامتياز ترتب عن طبيعة فهم الناس للدين وتأويلهم لجملة من النصوص والحقائق.

بعد أن انتقد بنحدو هذه المفاهيم الثلاثة التي تشغل حيزا كبيرا في الخطاب الفكري والأكاديمي المعاصر، يقدم البديل الذي يراهن عليه، ويرى أنه الحل الأنجع لإخراج المجتمع الإسلامي من دوامة التخلف التي يتخبط فيها منذ

1 Benhaddou, K. (2016). p.37

قرون طويلة، فـ"لا الإسلام الأوروبي، لا الإسلام التنويري، لا الإسلام المعتدل، لكن الإسلام العقلاني، الذي يجب على المسلمين أن يتعلموه حتى يتصرفوا بشكل عقلاني مع سياقهم وواقعهم. إن فكرتي حول الإسلام العقلاني لا تشير إلى العقلانية بكونها تتعارض مع التجريبية والليبرالية كتيار سياسي. إن الإسلام العقلاني جد واسع ويركز باختصار على التفكير النقدي".[1]

وتأكيدا للبديل العقلاني الذي يرافع من أجله الكاتب ينقب عن جذور التفكير العقلاني في التراث الديني والفلسفي الإسلامي، ليثبت أن العقلانية ليست أمرا غريبا عن الإسلام: دينا وتاريخا وثقافة. "فالإسلام شهد عبر تاريخه مراحل مزدهرة على المستوى العلمي، وهذا يعني أن الإسلام العقلاني ليس مفهوما غريبا، حيث تم التوفيق بين العقل والوحي". ثم يضرب مثال بيت الحكمة الذي أسسه الخليفة العباسي المأمون في القرن التاسع، وكان يحتوي على مكتبة ومركز ترجمة يشرف عليه مترجمون عراقيون وسوريون مسيحيون قاموا بترجمة الكتب الفلسفية والرياضية من الفارسية والإغريقية. كما يستشهد بابن رشد الفيلسوف الذي شكل مصدر إلهام له، إذ شكل التفكير العقلاني في ذلك الزمان منطلقا مرجعيا للبناء عليه، وينبغي إدراجه

1 Benhaddou, K. (2016). p.37

اليوم في التفكير الإسلامي، لأن لغة العقل والعلم هي بالطبع اللغة المشتركة.[1]

وأكثر من ذلك، فإن الإسلام العقلاني يمكن أن يشكل أيضا حلا للانشقاقات الإيديولوجية والطائفية، التي يشهدها العالم العربي والإسلامي منذ قرون طويلة، بل وقد تصاعدت وتيرتها في المرحلة الأخيرة. فالإسلام العقلاني يمكن أن يقرب ويعالج الصراع الشيعي السني على أساس نقدي وليس دوغمائي.[2] ثم إن هذا النمط من الإسلام الذي يراهن عليه الكاتب يستند إلى قراءة أوروبية، ويعمل على البحث عن القاسم المشترك الكبير. ولن يتأتى ذلك إلا إذا ابتعد الخطاب الإسلامي المهيمن عن أحكام القيمة، وعن التمسك الشديد بالمثل المحسوبة على الزمن الغابر وبالإحباطات كرد أفعال على الماضي.[3]

غير أن الدعوة إلى إقرار إسلام عقلاني ليست جديدة على العالم العربي والإسلامي، فقد سبق لعشرات المفكرين المسلمين الرواد منذ النهضة الإسلامية في القرنين التاسع عشر والعشرين أن طرحوا البديل العقلاني في مختلف أبعاده السياسية والاجتماعية والتربوية والدينية وغير ذلك. وأذكر على سبيل المثال: سيد أحمد خان، محمد عبده،

1 Benhaddou, K. (2016). p. 37-38

2 Benhaddou, K. (2016). p. 40

3 Benhaddou, K. (2016). p. 34

محمد إقبال، سيد حسين نصر، محمد عابد الجابري ومحمد أركون. ومع ذلك كله، لا زالت تسود العالم الإسلامي الانشقاقات السياسية والتمزقات الاجتماعية والانسدادات الفكرية!

فشل الإسلام السياسي

أفرد الكاتب الفصل الثاني من مؤلفه للإسلام السياسي بمختلف تياراته الدعوية والسياسية والراديكالية، واللافت للنظر أنه يضع أغلب هذه التيارات في بوتقة السلفية، على أنها تاريخيا تعتبر امتدادا للسلفية الأم التي ترتكز بالدرجة الأولى على العودة إلى المرحلة النبوية الذهبية. ولعلها نفسها السلفية التي تشرّب الكاتب ببعض معارفها، كما جاء على لسانه مؤكدا بأنه غير مسكون بالسلفية، غير أنه يعترف في الوقت نفسه بأن بعض رواسبها بقيت عالقة في جملة من الأفكار التي كان يحملها في السابق مثل: خطاب النحن-الهم، القناعة بأن المجتمع يتكون من طائفتين، اختزال الناس فيما هو ديني، وقد كان يتعاطى لتلك الأفكار بشكل غير واع،[1] لاسيما قبل أن ينخرط في دراسة الفلسفة الإسلامية والغربية التي منحته آليات التفكير العقلاني، الذي يرى أنه السبيل الأوحد للتوفيق بين الإسلام والحداثة الغربية.

---

1 Benhaddou, K. (2016). p. 15

وقد سبق للمفكرين المسلمين أن حاولوا البحث عن الأسباب التي أدت إلى تقدم الغرب منذ القرنين السادس والسابع عشر في حين لا يزال المسلمون يوجدون على هامش التاريخ، ويجرّون أذيال التخلف والانحطاط. ويرى الكاتب أن هذا السؤال تمت الإجابة عنه بطريقتين. إحداهما تعتقد أن المفاهيم الغربية مثل الليبرالية والاشتراكية والوطنية تشكل المفاتيح الجوهرية لتقدم العالم العربي. والأخرى تتجسد في السلفية بمختلف تياراتها كالوهابية في السعودية والسنوسية في ليبيا والإخوان المسلمون في مصر. وكل هذه التوجّهات تشدد على العودة إلى المرحلة النبوية لأن التأخر وضياع المعرفة والعلم جاء نتيجة عوامل خارجية، ولا يمكن الانفكاك من إسارها إلا عن طريق الرجوع إلى خط الإسلام الصافي. والملاحظ أنه رغم اختلاف هاتين الطريقتين، إلا أنهما توظفان المقارنة نفسها بين حاضر الإسلام والغرب من ناحية أو بين حاضر الإسلام وماضيه من ناحية ثانية. وهذا خطأ كبير لأن هذه الموازنات لا يمكن أن تنجح. فما يصلح لأوروبا لا يمكن أن يصلح أو يناسب بالضرورة الحضارات الأخرى. والتحولات التي شهدتها أوروبا كانت إجابة عن الإشكاليات التي كانت تواجهها، واستجابة للظروف الخاصة بها.[1]

1 Benhaddou, K. (2016). p.62-63

وقد تعرض الكاتب إلى مختلف تيارات الإسلام السياسي تعريفا ونقدا، بدءا بالسلفية الوهابية، مرورا بالإخوان المسلمين وحزب التحرير وجماعة الدعوة والتبليغ، وصولا إلى السلفية الجهادية ممثلة في تنظيم داعش. ليخلص بعد ذلك إلى تأكيد فشل الإسلام السياسي الذريع في ترجمة رؤاه على أرض الواقع، وتحقيق المجتمع المثالي المتجسد في المرحلة النبوية الصافية التي يحلم بها كل مسلم.

ينطلق الأستاذ بنحدو من مصطلح السلفية عامة بكونه مشتقا من اللفظة العربية سلف، التي تعني لغويا "الذي سبق". وبالنسبة لأتباع السلفية فتعتبر العودة إلى السلف الأوائل والأجيال الثلاثة الأولى من الأهمية بمكان، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ينعت تلك الأجيال بالذهبية. ومن ثم فالحياة وفق معاملات المسلمين وأخلاقهم في ذلك الزمان، تعني لكل السلفيين على اختلاف تسمياتهم العودة إلى الإسلام الصافي. ولعل هذا النوع من التفكير جاء نتيجة ضعف الدولة العثمانية والتفيكر في الإصلاحات. وقد بدا أن العودة إلى مرحلة ما قبل حدوث الصراعات والانشقاقات داخل الإسلام (ما قبل الخلاف) تشكل المنطلق الجوهري لهذا الإصلاح. لذلك انشغل بعض المفكرين المصلحين (الأفغاني، عبده) بإشكالية التقدم وإصلاح الإسلام من الداخل.[1]

1 Benhaddou, K. (2016). p. 64

ولا يمكن الحديث عن السلفية دون الإشارة إلى الوهابية التي تعتبر أحد أهم التيارات السلفية، التي نشأت منذ القرن الثامن عشر في السعودية على يد محمد بن عبد الوهاب الذي سمي هذا التيار على أساس اسمه. وقد أبرم عشية تأسيس حركته الإصلاحية اتفاقا مع العائلة الحاكمة آل سعود، حيث تم التفاهم على أن النخبة السياسية والدينية تحمي بعضها البعض إلى الأبد. وجراء هذا الاتفاق التاريخي لم تتحول النخبة الدينية إلى ممارسة السياسة. فالسلفيون في السعودية ظلوا إلى اليوم بعيدين عن السياسة، بل ويعارضون إجراء الانتخابات الديمقراطية، ما دام أن النخبة السياسية تشكل دوما مظلة وقائية للنخبة الدينية.[1] ونعتقد أنه لا يمكن استيعاب نشأة الحركة الوهابية في القرن الثامن عشر وتداعياتها اللاحقة في انفصال عن السياق التاريخي والاجتماعي والسياسي الذي ظهرت فيه، وهو سياق خاص كانت تتقاطع فيه مختلف الخيوط السياسية والإيديولوجية سواء على المستوى المحلي (نشوء تدين عرفاني) أو الإقليمي والدولي (تمدد الإمبراطورية العثمانية، بداية الأطماع الإمبريالية الأوروبية). لذلك، فإن هذه الحركة الدينية-السياسية كانت في إبّانها، وبمقاييس تلك الحقبة

1 Benhaddou, K. (2016). p. 65

"تجديدية"، بينما تبدو في ضوء مقاييسنا المعاصرة "رجعية" و"أصولية"، وهي في الحقيقة مقارنة غير موضوعية.

ثم إن الحركة الوهابية التي تدعمها المملكة العربية السعودية ليست صدامية ولا تدعو إلى العنف، لأن أتباعها لا يسعون في الأصل إلى تأسيس دولة إسلامية، فالدولة الإسلامية المثالية بالنسبة إليهم هي السعودية نفسها، ويجب تعميم هذا الأنموذج على البلدان العربية. ويضيف الكاتب أن دعم الإيديولوجية الوهابية لم يقتصر على الداخل السعودي والعربي فحسب، بل تجاوز ذلك إلى أوروبا والعالم، فمنذ ستينيات القرن الماضي إلى اليوم استثمرت السعودية ما يعادل 87 مليار دولار لدعم السلفية الوهابية في أوروبا وحدها، ويساهم في بعض الأحيان في ذلك بعض القادة الأوروبيين بسبب الأهداف الاقتصادية الاستراتيجية التي قد يجلبها وجود السلفية في أوروبا.[1] ثم إنه لا يمكن غض الطرف عن الفراغ الديني الذي كان يسود بين المهاجرين الأوائل في أوروبا، ما منح الفرصة للسلفية الوهابية لأن تتمدد وتنتشر.[2]

وهكذا فإن التيار الوهابي الذي لا يؤمن بالسياسة ويرفض كل أشكال العمل الديمقراطي، قد شكل آلية

---

1 Benhaddou, K. (2016). p. 77

2 Benhaddou, K. (2016). p. 69

إيديولوجية في أيدي السياسيين السعوديين من أجل تعميم نمط معين من التفكير الديني السلفي. أما تيار الإخوان المسلمين، فيكشف منذ البداية عن أنه يؤمن بممارسة السياسة وتنزيل مفهوم الديمقراطية، بل والتوفيق بين ما هو سياسي وديني. وقد ظهر هذا التيار، كما يسرد الكاتب، بعد وقت قصير من سقوط الخلافة الإسلامية (العثمانية). ففي عام 1926 أسس الحسن البنا في مصر تيار الإخوان المسلمين، الذي بدأ كحركة مقاومة للاحتلال البريطاني. إن البنا رجل سعى إلى التوفيق بين الدولة والدين وهو يحذوه طموح العودة إلى زمن الخلافة، التي يرى فيها الحل الأمثل لتقدم المسلمين. ويعتبر الإخوان في الأصل تيارا سلفيا كان في حاجة إلى ممارسة السياسية، لأنه لم يتم دعمه من السياسيين كما حدث في السعودية التي دعمت الوهابية. فالإخوان كان ينظر إليهم منذ البداية على أنهم يشكلون خطرا، لذلك تمت ملاحقة قادتهم وإيداعهم في السجون في زمن جمال عبد الناصر وأنور السادات. وسوف يتحول الإخوان المسلمون مع مرور الأيام إلى حركة سياسية تؤمن بالديمقراطية وسيلة لبناء الدولة الإسلامية. وقد تجلى بناء الدولة الإسلامية لاحقا من خلال أسلمة الدولة الحالية.[1]

1 Benhaddou, K. (2016). p. 65-66

ورغم مرور حوالي قرن كامل عن ظهور حركة الإخوان المسلمين إلا أنها لم تفلح في ترجمة مشاريعها على أرض الواقع، وهذا يعني أنها فشلت في مهمتها كما يستخلص الكاتب، فـ"ثمانون سنة والإخوان المسلمون يصرخون ويقولون بأنهم طوروا أنموذجا خاصا، لكن عندما بلغوا الحكم اقترضوا قرضا من صندوق النقد الدولي مقابل فائدة جد عالية تحت ذريعة أن الغاية تبرر الوسيلة. هذا مسموح، فهو مفهوم معروف في الإسلام لاسيما في الظروف الاستثنائية، لكنه لا يمكن اعتباره مفهوما يمكن أن نؤسس عليه أنموذجا اجتماعيا قائما بذاته. وهكذا انقلب الإخوان على الكثير من المباديء التي كانوا يتبنونها خلال عقود طويلة، وخير مثال على ذلك التعامل الربوي الذي حرموه طويلا، والآن يحللونه تذرعا بما هو اجتماعي واقتصادي".[1]

ولعل هذا الفشل ينطبق بشكل أو بآخر على تيار حزب التحرير الذي يحمل إيديولوجيا غير واضحة المعالم، لاسيما على مستوى الآليات والميكانيزمات المعتمدة لتنزيل أجندته الدينية والدعوية على أرض الواقع. إن حزب التحرير منظمة سنية سياسية ذات طابع عالمي يقدر أتباعها بالملايين، إذ يستقر أغلبهم في الأردن ولندن. ويتحدد هدف هذا التيار الجوهري في توحيد المسلمين في دولة إسلامية واحدة، على

1 Benhaddou, K. (2016). p. 68

أساس الشريعة الإسلامية، على أن الرأسمالية والديمقراطية لا يمتان بصلة إلى الإسلام. ويستخلص الكاتب أنه على خلاف تيار الإخوان المسلمين لا يقبل حزب التحرير الأنظمة الديمقراطية سواء بكونها وسيلة أو غاية. فهم يرفضون أي شكل من أشكال العنف ويراهنون على التغيير من القاعدة، لكن السؤال الذي يظل معلقا مفاده: ما هي الوسائل التي يمكن اعتمادها لنشر ذلك الوعي وتأسيس الدولة الإسلامية؟[1]

وينهي الكاتب كلامه عن أهم التيارات الإسلامية بإطلالة خاطفة على جماعة الدعوة والتبليغ، التي وإن كانت لا تمت بصلة إلى ما هو سياسي، إلا أنها تستطيع أن تؤثر في بعض التوازنات السياسية، وقد تأسست في الباكستان، ويمكن أن نقارنها بجماعة "شهود يهوه" المسيحية. يسافر أتباعها عبر مختلف بقاع العالم من أجل الدعوة، ويؤمنون بأن من يتعامل بشكل سلمي مع الحياة سوف يعيش أيضا في سلم مع نفسه والعالم. ورغم أن هذه الجماعة ليست سياسية إلا أنها أثرت بشكل كبير في تقسيم الهند الكبرى وظهور باكستان.[2]

والجدير بالذكر، أن مختلف هذه التيارات التي يدرجها الكاتب تحت لواء السلفية الأم ليست كلها راديكالية أو عنفية، فالسلفية الوهابية لا تسعى إلى إقامة دولة إسلامية

1 Benhaddou, K. (2016). p. 66

2 Benhaddou, K. (2016). p. 66

لأنها ترى في السعودية الدولة الإسلامية المثلى، التي يجب على البلدان العربية والإسلامية اقتفاء أثرها واتخاذها قدوة لها. والإخوان المسلمون يعتبرون تحقيق الدولة الإسلامية أو أسلمة الدولة هدفهم الجوهري، ويعتمدون في ذلك آلية الديمقراطية، لذلك ينظر إليهم بعين الريبة والتخوف. في حين أن السلفية الجهادية، ومنها تنظيم داعش، يرى أتباعها أن العنف هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق مشروع الدولة الإسلامية، لذلك فهم يدعون إلى الجهاد، أو بالأحرى إلى القتال المسلح.[1] وكل هذه التيارات فشلت فشلا ذريعا على المستوى الإيديولوجي، إذ لم تتمكن من الإجابة عن إشكاليات القرنين العشرين والواحد والعشرين، فهي تقدم أجوبة إسلامية عن قضايا يتم استيرادها من الخارج.[2]

داعش وإدارة التوحش

وفي مقابل هذه الحركات الإسلامية التي تختلف في تعاطيها مع ما هو سياسي بين من يرفض ممارسة السياسة، ومن يوفق بين الديمقراطية والدين، ومن يقتصر على الدعوة إلى الله، تنتصب السلفية الجهادية التي تؤمن بالعنف والقتال والجهاد لمواجهة سواء المرتدين والعصاة داخليا من أنظمة الحكم الاستبدادية وأذنابها أو الكفار

1 Benhaddou, K. (2016). p. 66-67

2 Benhaddou, K. (2016). p. 69

والصليبيين خارجيا من أعداء الإسلام والمناوئين له. ويرى الخبراء في الحركات الإسلامية أن أكبر تيارات السلفية الجهادية انبثقت من السلفية الوهابية والإخوان المسلمين، لاسيما في ستينيات القرن الماضي حيث كانت ترتفع أصوات راديكالية تدعو إلى العنف. كما أن أحد كبار قادة القاعدة ينتمي إلى تيار الإخوان، وهو أيمن الظواهري الذي كان قد أسس حركة الجهاد الإسلامي.[1]

ولعل ما يغيب عن الكاتب هنا هو أنه كثيرا ما يتم التذرع بهذا التفسير في النقاشات السياسية والإعلامية، لكن دون إدراك أن عددا كبيرا من منفذي الهجمات الإرهابية داخل أوروبا وخارجها لا يمتون بصلة، لا إلى التيار السلفي ولا إلى الإخوان المسلمين. ثم إن الحراكات الراديكالية أو القتالية التي انبثقت عن هذين التيارين، إن صحت هذه الفرضية، لا يمكن استيعابها إلا ضمن ظروفها وشروطها التاريخية والسياسية والنضالية، التي نشأت فيها أول ما نشأت، فتلقت الدعم الشعبي والإعلامي والأدبي والطلابي الكبير، غير أنها فقدت هذه القاعدة الداعمة بمجرد ما انحرفت إلى العنف والأدلجة والتسييس.

ويعتبر اليوم تنظيم داعش (بالإضافة إلى القاعدة) أهم تيارات السلفية الجهادية، وتشكل العودة إلى الماضي النبوي

1 Benhaddou, K. (2016). p. 67

الزاهر أحد أهم عقائدها. ويرى الأستاذ بنحدو أنه "لا يمكن العودة إلى حقبة غير موجودة مهما كانت الطرق. فالشباب هنا يجب أن يثق بالدرجة الأولى في الثقافة الأوروبية، وفي مؤسسات هذا البلد. ولعل هذا ما قد يتحقق من خلال توعيتهم عن طريق التوفيق بين هويتهم الدينية والمواطنة الفاعلة. وحتى لا يظلون طويلا على الهامش، يجب أن يؤدوا دورا فاعلا في المجتمع".[1]

ثم إنه يجب أن نعترف بأن التطرف يحصل من الجانبين، إلا أنه عندما تنفذ عملية من إرهابي يردد الله أكبر، يسدل المرء الستائر ويغلق الباب. ينبغي للسياسة على العكس أن تتجاوز ذلك، وتمنح الأولوية للمصالح العامة التي تخص كل المواطنين، ومنها فئة مهمة من أصول إسلامية. إن انتصار الشعبوية وتشديد الخناق وسياسة القطبية أصبح اليوم أمرا واقعا. لا يمكن أن نغض الطرف عن المسلمين المتطرفين، فهؤلاء يقسمون البلد أيضا إلى معسكرين. المتطرفون من أي أصل، ينبغي أن يبقوا على الهامش، فعندما تمارس هذه الأصوات تأثيرا على الرأي العام يصبح الأمر مقلقا.[2]

وفيما يتعلق بتنظيم داعش الذي أقام الدنيا ولم يقعدها، فإن كتاب **إدارة التوحش** لمؤلفه المجهول أبو بكر

---

1 Benhaddou, K. (2016). p. 31-32

2 Benhaddou, K. (2016). p. 33

ناجي يعتبر بمثابة الدستور الملهم لها. فهو يقدم بشكل دقيق استراتيجية إقامة وإدارة الدولة الإسلامية. كما أنه يتضمن خارطة طريق من خطوات محددة، مثل زعزعة الاستقرار على مستوى المناطق، والبحث عن الأماكن التي تشهد الفوضى، وإذا لم تكن موجودة فعلى تنظيم داعش خلق الفوضى حتى يتم وضع الشعب أمام مفترق الطرق: إما اختيار الدمار العام والفوضى وإما قبول داعش كبديل. ثم إن هذه الفوضى والبربرية أو التوحش يتماشيان معا، إذ بواسطتهما يتم ترهيب العالم، مبررين أن كل شيء مشروع، وأن العيش تحت الكفار غير مقبول.[1]

ويلاحظ من خلال ما سبق، أن الكاتب لم يتناول تيارات إسلامية أخرى تشغل حيزا كبيرا في المجتمعات الإسلامية، وتؤدي دورا مصيريا في موازين القوى الدعوية والسياسية، سواء في الداخل أو في الخارج، كالشيعة والأحمدية والصوفية. ويعتبر التيار الأخير؛ الصوفية أحد أهم روافد المجتمع الإسلامي الذي يستقطب اهتماما منقطع النظير في السياق الأوروبي، لاسيما من خلال مكوناته الروحية والأخلاقية التي تشكل بديلا لعقلانية الغرب الغارقة في المادية.

1 Benhaddou, K. (2016). p. 83-84

خلاصة

من خلال هذه المراجعة تتضح بعض ملامح المقاربة التي يتبناها الأستاذ خالد بنحدو، ويسعى من خلالها إلى طرح بديل موضوعي يطلق عليه "الإسلام العقلاني"، وذلك بغرض الإسهام من موقعه في النقاش الدائر حول مختلف قضايا الإسلام والمسلمين، لاسيما في السياق الأوروبي الذي يعيش فيه. وقد بلور جملة من الرؤى التي لاقت تجاوبا خصوصا من قبل غير المسلمين الذين يجهلون عقلانية الإسلام ودوره المعرفي والحضاري. غير أن "النقد المطلق" الذي يمارسه الكاتب على مختلف المفاهيم والتيارات الإسلامية لصالح ما يطلق عليه "الإسلام العقلاني" من شأنه أن يلقى التحفظ لاسيما من الشرائح المسلمة المحسوبة على هذه التيارات أو المتعاطفة معها، وتعتبر نفسها شقا من التعددية الفاعلة التي يضمنها القانون الغربي لجميع مكونات المجتمع. وقد اكتفينا بتقديم هذه المراجعة المسحية لأهم المواقف والأفكار التي تخص بالدرجة الأولى الإسلام السياسي والبديل العقلاني، ونحن ندرك تمام الإدراك أن مثل هذا الجهد يستحق قراءة نقدية موسعة تحفر عميقا في هذه الأفكار، التي باتت تشكل اليوم أهم الموضوعات التي تشتغل بها مراكز البحث في مختلف الجامعات الأوروبية والغربية والإسلامية.

خاتمة

كما سبقت الإشارة في مقدمة الكتاب، تشكل هذه المراجعات وما سبقها من مؤلفات حول الإسلام والغرب مداخل نظرية وتمهيدية لمشروع أشمل وأعمق حول علاقة الإسلام بالغرب، هو قيد الإنجاز. وهذه التجربة الفكرية هي ثمرة أكثر من عقدين من الإقامة في أوروبا، حيث كنت شاهدا على التحولات التي طرأت لدى الشريحة المسلمة والعربية والمغاربية، لاسيما على مستوى أوروبا الغربية (هولندا، فرنسا، بلجيكا، ألمانيا، إسبانيا). لذلك فإن المقاربة التي أعتمدها تنبثق من الداخل الغربي، الذي لا يمكن استكشافه وإدراك بنياته التاريخية والأخلاقية والسوسيو-ثقافية والسياسية إلا من خلال الانخراط الموضوعي والمعنوي في منظومته الاجتماعية.

ولا تكتمل معرفتنا الحقيقية بالآخر إلا بتضافر التجربة الواقعية والمتابعة المعرفية. إذا كانت التجربة الواقعية تمكننا من الاحتكاك اليومي بالمعاملات "الروتينية" البسيطة والإجراءات الإدارية والتربوية والمهنية المعقدة على حد سواء، فإن المتابعة المعرفية تزودنا بأبجديات اللغة والثقافة والقانون التي تؤهلنا لأن نخلق لنا حيزا مناسبا ضمن التعددية الغربية المعاصرة.

ولعل مراجعات الكتب من شأنها أن تغني معرفة الذات بالآخر، ومعرفة المسلمين بالغرب، بل ومعرفة الذات المسلمة بذاتها. فهي تناقش علاقة الإسلام بالغرب من منظورات متنوعة، وبناء على تجارب فكرية واجتماعية مختلفة، تدعو إلى التعاطي الإيجابي مع الغرب الإنساني بدل القلق المستمر من الغرب الإيديولوجي.

لائحة المصادر والمراجع

أركون، محمد. (2001). *الإسلام، أوروبا، الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة.* (ترجمة: هاشم صالح). لبنان: دار الساقي.

بولعوالي، التجاني. الإسلام بين الغرب الإيديولوجي والغرب الحضاري (حوار نادر المتروك). جريدة الوقت (البحرينية). ع. 487. الجمعة 7 جمادى الثانية 2/1428 يونيو 2007.

الجابري، محمد عابد. (1997). *مسألة الهوية العروبة والإسلام... والغرب.* بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

جعيط، هشام. (2001). *أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة.* بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

الربيعو، تركي علي، الميلاد، زكي. (2011) *الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل.* دمشق: دار الفكر العربي المعاصر.

سعيد، إدوارد. (2005). *الاستشراق المعرفة، السلطة، الإنشاء* (ترجمة: كمال أبو ديب). ط7. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

الميلاد، زكي. *مع رحيل الصديق تركي على الربيعو* (2-1). جريدة عكاظ (السعودية). الثلاثاء 16 يناير 2007.

وات، مونتجومري. (1983). *فضل الإسلام على الحضارة الغربية. ط1 (ترجمة: حسين أحمد أمين).* مكتبة مدبولي القاهرة 1983.

ولد أباه، السيد. *يهود ضد إسرائيل.* جريدة الشرق الأوسط. الجمعة 04 شعبان 1428 هـ 17 اغسطس 2007 العدد 10489.

Ben Jelloun, T. (2002). *L'islam expliqué aux enfants*. Paris: Le Seuil.

Ben Jelloun, T. (2002). *Papa, wat is een Moslim?* (transl. Zsuzso Pennings). Breda: Uitgeverij De Geus.

Benhaddou, K. (2016). Is dit nu de islam? Gent: Borgerhoff en Lamberrigts.

Bijbelstichting, K. (2012). *Bijbel Willibrordvertaling.* Heerenveen: Jongbloed.

Boulaouali, T. (18 okt. 2019). Terrorisme pak je niet aan met oorlog, wel met onderwijs. Antwerpen: KifKif

Crone, B. (2019). *Islam Religion of War or Peace?* USA: Life Ministries

Eikelboom, J. (2011). Arabische Lente, Een ooggetuigenverslag. Amsterdam: Balans.

Weyer, R. v. (2002). De Islam en het Westen van de kruistochten tot nu (transl. Katrien Bruyland). België-Nederland: Deltas.

Yousafzai, M., Lamb, C. (2015). I am Malala, the Girl Who Stood up for Education and was Shot by the Taliban. New York: Back Bay Books.

Zeit, (19 April 2007). 'Über das Zentralinstitut Islam-Archiv-Deutschland', in: www.zeit.de, Nr. 17.

المواقع الرقمية

- https://www.galministries.org/about.htm
- https://khalidbenhaddou.be/
- https://kifkif.be/cnt/artikel/terrorisme-pak-je-niet-aan-met-oorlog-wel-met-onderwijs-8057
- https://www.knack.be
- https://www.malala.org/
- https://mondediplo.com/_Olivier-Roy _
- https://www.tyndale.ca/seminary/faculty/james-beverley
- www.zeit.de

عن الكاتب

د. التجاني بولعوالي

باحث ومفكر مغربي متخصص في قضايا الإسلام والغرب والفكر الإسلامي وترجمة القرآن الكريم، أستاذ وباحث في كلية اللاهوت والدراسات الدينية، جامعة لوفان في بلجيكا. صدرت له مجموعة من المؤلفات منها: الخوف المتبادل بين الإسلام والغرب (الدار البيضاء، 2021)، صورة الإسلام في المقاربة الأكاديمية الهولندية (دبي، 2013)، الإسلام والأمازيغية، (الدار البيضاء، 2009)، المسلمون في الغرب بين تناقضات الواقع وتحديات المستقبل (القاهرة، 2006).

إصدارات الكاتب

- **الخوف المتبادل بين الإسلام والغرب**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2021
- **الربيع العربي بين الأعلمة والأسلمة** (إصدار هولندي)، منشورات ماين باست سيلر، روتردام 2020
- **المرجعيات الكتابية في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الهولندية**، أطروحة دكتوراه، جامعة لوفان، بلجيكا 2019
- **في مهب اليتم** (شعر)، منشورات الموكب الأدبي، وجدة 2017

- **الصحافة الأمازيغية المكتوبة في المغرب**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط 2015
- **راهن الأمازيغية في ضوء المتغيرات الجديدة**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2014
- **صورة الإسلام في المقاربة الأكاديمية الأوروبية، الهولندية أنموذجا**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دبي 2013
- **واقع تعليم القرآن الكريم في أوروبا- بلجيكا**، منشورات الأكاديمية الإسلامية، بلجيكا 2013
- **الشعر العربي، ثنائية المعيار والانزياح**، دائرة الثقافة والمعرفة، الشارقة 2012
- **المسلمون في الغرب بين تناقضات الواقع وتحديات المستقبل** (طبعة المغرب)، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2010
- **البرتقال الصامت** (رواية)، مقاربات للنشر، أسفي 2009
- **الإسلام والأمازيغية، نحو فهم وسطي للقضية الأمازيغية**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2008
- **الموت على طريقة الكوبوي**، مركز الحضارة العربية، القاهرة 2008
- **الإسلام- فوبيا صناعة إعلامية تسوق في الغرب**، مركز الحضارة العربية، القاهرة 2008
- **الصحافة الأمازيغية المكتوبة**، مطبعة مناف، الرباط 2009

- **فن الإعلان الأمازيغي**، منشورات جامعة لاهاي العالمية، دينهاخ 2007
- **المسلمون في الغرب بين تناقضات الواقع وتحديات المستقبل** (طبعة مصر)، مركز الحضارة العربية، القاهرة 2006

كتب بالاشتراك:

- **إشكالية الدفن الأبدي في السياقين الهولندي والبلجيكي**، في كتاب: جائحة كورونا والرهانات المعرفية الجديدة، جامعة ابن طفيل، القنيطرة 2020
- **النصّ القرآني من منظور علم الاستشراق المعاصر**، وليام مونتجمري وات أنموذجا، في كتاب: علوم القرآن في الإبستيميّة المعاصرة، مؤمنون بلا حدود، الرباط 2018
- **التطرف ومعركة المصطلحات**، في كتاب: مفهوم التوحيد بين الأصل الإسلامي والتأويل الجهادي، مؤمنون بلا حدود، الرباط 2018
- **أَفحُكْم الْجاهِلِيَّةِ يَبغُون؟ قراءة تأميلة في سيكولوجية الإرهاب باسم الدين**، في كتاب: نحو الأمل، جمعية ملتقى الفن، الدار البيضاء 2017
- **صورة الإسلام في المنظور الفلسفي التفكيكي**، في كتاب: الإسلام في الغرب، مؤمنون بلا حدود، الرباط، 2017
- **ارتقاء الذات نحو ما هو صوفي**، في كتاب: مرايا قراءات في شعر محمد علي الرباوي، عين برانت، وجدة 2015

- **ثنائيّة الدين والدولة بين التباس المفاهيم وغياب المرجعيّة لدى محمد عابد الجابري**، في كتاب: مفهوم الدولة، "الدولة الإسلاميّة"، "دولة الخلافة"، مؤمنون بلا حدود، الرباط، 2015
- **دور المرأة المسلمة في حوار الثقافات**، في كتاب: العلاقات المسيحية الإسلامية: دراسات مقارنة من إندونيسيا وهولندا (إصدار إنجليزي)، Evangelische Verlagsanstalt لايبزيغ، ألمانيا 2014
- **الموسوعة الكبرى للشعراء العرب 1956 - 2006**، الجزء الأول، شبكة صدانا 2009
- **من السماء إلى الأرض**، في كتاب: أنطولوجيا القصة المغربية، الحاءات الثلاثة، طوب بريس، الرباط 2007
- **الإشراقة المجنحة**، (بالاشتراك مع مجموعة من الشعراء والأدباء)، دار أبابيل للنشر، سوريا 2007

المحتويات

حينما نتحدث حول مختلف قضايا الإسلام في الغرب، كالاندماج والتعليم والتجديد وغيرها. ينبغي أن نميّز حينها بين وجود غربين أحدهما إيديولوجي يحيل على مفاهيم الاستعمار والهيمنة والاستعلاء والقوة، والآخر غرب حضاري يقدّم للإنسان شتى القيم الإيجابية والإنجازات المفيدة، وهو أيضا ذلك الغرب الذي هيّأ ملاذاً دافئاً لملايين المهاجرين واللاجئين المسلمين والأجانب. وأعتقد أن هذا التقسيم من شأنه أن يشكل مخرجا منهجيا في تعاملنا مع الغرب، الذي لا ينبغي أن نضعه كله في بوتقة واحدة، وننظر إليه بعين الريبة والسلبية والخوف، فالغرب متعدد في كينونته وسياقه وتاريخه وتعامله مع الآخر. ومن الضروري أن ندرك قيمة هذه التعددية الإيجابية التي تمكننا من التمتع بالحقوق والمكاسب والمنجزات، التي يوفرها لنا ذلك الغرب الإنساني والحضاري. ويقتضي هذا في المقابل أن لا نظل في موقف "سالب" كما كان الأمر طوال عقود الهجرة الأولى، بقدر ما ننخرط في الواقع عبر الإسهام والمشاركة والمواطنة والحوار.

****

د. التجاني بولعوالي

باحث ومفكر مغربي متخصص في قضايا الإسلام والغرب والفكر الإسلامي وترجمة القرآن الكريم، أستاذ وباحث في كلية اللاهوت والدراسات الدينية، جامعة لوفان في بلجيكا. صدرت له مجموعة من المؤلفات منها: الخوف المتبادل بين الإسلام والغرب، صورة الإسلام في المقاربة الأكاديمية الهولندية، الإسلام والأمازيغية، المسلمون في الغرب بين تناقضات الواقع وتحديات المستقبل.

روافد للنشر والتوزيع

9789777516969